
بسم الله الرحمن الرحيم


دعاء
الإمام الحسين عليه السلام
في يوم عاشوراء



BP
٧٠٩ / ٤١
٧٠٨ د /
٥ ح

الحسني، نبيل، ١٩٦٥ ــ م.

دعاء الإمام الحسين في يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي: دراسة اسلامية معاصرة / تأليف نبيل الحسني؛ تقديم اللجنة العلمية، محمد علي الحلو. ـ كربلاء: العتبة الحسينية المقدســة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣١ق.=٢٠١٠م.

٢ ج. ـ (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ٣٧).

المصادر.

١. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ ـ ٦١ق. والدعاء ـ دراسةوتحقيق. ٢. الدعاء ـ فلسفة. ٣. الدعاء تأثير الزمان والمكان. ٤. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ ـ ٦١ ق. ـ سياسته وحكومته. ٥. عاشوراء ـ فلسفة. ٦. العبادة والجهاد ـ تأثير الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ ـ ٦١ق. ٧. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ ـ ٦١ق. الزيارة ـ فضائل. ٨. الحسين بن علي (ع)، ٤ ــ ٦١ق. ــ جزاء الاعداء. ٩. واقعة كربلاء، ٦١ق. ــ تأثير ــ دراسة وتحقيق. (١٠). الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ ــ ٦١ق. ـ أصحاب ـ دراسة وتعريف. (١١). الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ ــ ٦١ق. والصلاة (١٢). الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ ــ ٦١ق. والتوكل. (١٣). الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ـــ ٦١ق. والقومية. (١٤). الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ ــ ٦١ق. العبودية (الإسلام). (١٥). الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ ـ ٦١ ق. ـ عرفان. (١٦) الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ ـ ٦١ ق. ـ علم الغيب. (١٧) الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ ـ ٦١ق. نظرية في الدوافع النفسية للفرد. (١٨) الكوفة ـ التفكك الإجتماعي ـ ٦١ ق. ـ فلسفة. (١٩) كربلاء ـ فضائل ـ أحاديث. (٢٠). دعاء الفرج وعاشوراء. ألف. العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. اللجنة العلمية. ب. الحلو، محمد علي، مقدم. ج. عنوان.

BP ٤١ / ٧٠٩ / ٧٠٨ د ٥ ح

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء

بين النظرية العلمية والأثر الغيبي

دراسة إسلامية معاصرة

تأليف

السيد نبيل قدوري الحسني

الجزء الثاني

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

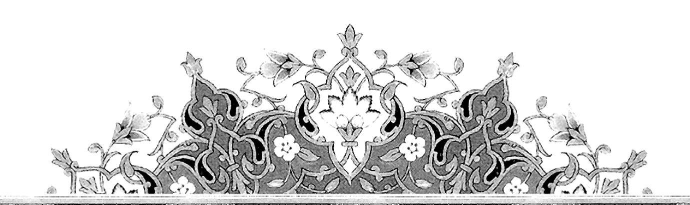


العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



الفصل الثامن:

مواضع دعائه عليه السلام

عند مصارع أهل بيته

عليهم السلام

إن المتأمل في أدعية الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء يجد نوعاً من التمايز في هذه الأدعية وظهور سمات تختص بهذه المجاميع من الأدعية التي كان أولها في صبيحة يوم العاشر وثانيها أدعيته قبل البدء بالقتال وثالثها أدعيته عند مصارع أصحابه ورابعها عند مصارع أهل بيته وخامسها عند قتاله ومصرعه عليه السلام.

إذ امتاز الدعاء الأول بحقائق ترتبط بالعقيدة والاجتماع والنفس.

وامتازت المجموعة الثانية بحقيقة تحقق الأثر الغيبي الآني والمستقبلي.

وامتازت المجموعة الثالثة بدور القائد والإمام وعلاقته برعيته وأشياعه وشحذ هممهم ومباركة أفعالهم وتسارع هذه النخبة في التضحية من أجل العقيدة وإعلاء كلمة التوحيد.

بينما تظهر المجموعة الرابعة: سمة إظهار الإمام الحسين عليه السلام لحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يترتب على انتهاكها من وقوع أنواع مختلفة من العذاب.

في حين امتازت المجموعة الأخيرة: بسمات المناجاة والعرفان والعروج إلى مراتب القرب من الله وبلوغ منزلة العبودية حيث ينزل جده وأبوه وأمه وأخوه عليهم السلام.

ولذلك: نجد أن أول من يخرج للقتال من أهل بيته عليهم السلام هو ولده علي الأكبر سلام الله تعالى عليه، لأنه أحيط بمجموعة من الحرمات الشرعية التي كشفها الدعاء، والتي لم تكن تحول بين قتله وانتهاك هذه الحرمات.

الموضع الأول: دعاؤه عند خروج ولده علي الأكبر للقتال

قال المؤرخون: (ولم يتمالك الحسين عليه السلام دون أن أرخى عينيه بالدموع وصاح بعمر بن سعد:

«مالك؟ قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسلط عليك من يذبحك على فراشك».

ثم رفع شيبته المقدسة نحو السماء وقال:

«أللهم اشهد على هؤلاء فقد برز إليهم أشبه الناس برسولك محمد خَلقا وخُلقا ومنطقا، وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه، أللهم فامنعهم بركات الأرض وفرقهم تفريقا ومزقهم تمزيقا واجعلهم طرائق قددا ولا ترض الولاة عنهم أبداً فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا».

ثم تلا قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1][2].

المبحث الأول: التعريف بعلي الأكبر عليه السلام

هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود بن معبد الثقفي، وأمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب[3].

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٣٣، ٣٤.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٤٥، ص٤٣. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للشيخ محمد البحراني: ص٢٨٦. لواعج الأشجان، محسن الأمين: ص١٧٠.

(٣) رجال الشيخ الطوسي: ص١٠٢، برقم١٠٠٢.

يكنى بأبي الحسن، ويلقب بالأكبر، (وقد اختلف العلماء في كون علي بن الحسين الشهيد في كربلاء) أصغر أم أكبر من الإمام السجاد عليه السلام، لامقتضى لنقل الكلمات في ذلك.

(ويظهر من بعض الروايات أنه كان له ولد من أمة، وقد تزوجها السجاد عليه السلام بعد شهادة أخيه، وهو أول قتيل من نسل خير سليل، وفي زيارة وارث دلالة على جلالته وعظم شأنه، ووقع التسليم عليه في زيارتي الناحية والرجبية وغيرهما)[١].

وكان له من العمر يوم استشهد سبع وعشرون سنة، وقيل غير ذلك[٢]، وكان مرآة الجمال النبوي ومثال خلقه السامي وانموذجا من منطقه البليغ[٣].

وروى أبو الفرج الاصفهاني عن أبي عبيدة وخلف الأحمر: أن هذه الابيات قيلت في علي بن الحسين الأكبر ـ عليهما السلام ـ.

لم تر عين نظرت مثله	**من محتف يمشي ومن ناعل**
يغلي نئي اللحم حتى إذا	**انضج لم يغل على الآكل**
كان إذا ثبت له ناره	**أوقدها بالشرف القابل**
كيما يراها بائس مرحل	**أو فرد حي ليس بالآهل**
أعني ابن ليلى ذا السدى والندى	**أعني ابن بنت الحسب الفاضل**
لا يؤثر الدنيا على دينه	**ولا يبيع الحق بالباطل**[٤]

---

(١) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي قدس سره: ج١٢، ص٣٨٧، برقم٨٠٥٠.

(٢) أعيان الشيعة، محسن الأمين: ج٨، ص٢٠٦.

(٣) مقتل الإمام الحسين عليه السلام، السيد المقرم: ص٢٦٧.

(٤) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الإصفهاني: ص٥٣.

المبحث الثاني: الدمع لسان القلب

يمكن للإنسان أن يعبر عن مشاعره وعواطفه القلبية بالكلمات والأفعال إلا أنه لا يجد لساناً أبلغ من الدمع في التعبير عن هذه العواطف القلبية والمشاعر النفسية، والعلة في ذلك هو أن الدمع لا يصطنعه الإنسان حينما يكون صادقا في عاطفته، كما أنه خارج عن إرادته مهما حاول أن يتكتم على تلك المشاعر.

بل يشير القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام إلى أن الدمع هو وجه القلب الحقيقي، ولسانه الناطق بالصدق عما يختزنه القلب من أحاسيس.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1].

والآية واضحة الدلالة في ارتباط الدمع بالقلب ولسانه المعبر عن حقيقة ما يكنه من إيمان.

ولذلك: لا يمكن أن تدمع عين المنافق أو الكافر حينما يسمع القرآن الكريم أو ذكر الله تعالى أو حديثاً نبوياً، والسبب يعود إلى مرض القلب بالنفاق أي خلوه من حب الله تعالى، وكيف يحب المنافق وقلبه ناكر لله عز وجل.

في حين نجد حالة الخشوع وفيض الدموع عند تلاوة القرآن أو الصلاة أو المناجاة هي من الحقائق والشواهد الدالة على حب الله تعالى؛ بل هي اللغة الوحيدة التي ينطقها القلب للاعتراف للمحبوب بحبه.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

إذ يمكن للإنسان أن يستعمل أعذب الكلمات فيلقيها في مسامع من يحب إلا أنه مع الله تعالى لا يحتاج إليها كما لا يحتاج أن يقول له أحبك لأنه سبحانه مطلع على حقيقة ما في قلب عبده كما يعلم ويشهد مقدار هذا الحب، فإذا أباح له بحبه امتزجت كلماته بدموع عينيه.

ولذلك ليس له وسيلة للاعتراف أو التعبير عن هذا الحب إلا الدمع.

ومن هنا: جاءت الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام لتبين للإنسان الثمن الحقيقي للدمع وتبين جزاءه عند الله تعالى لما يحمله من صدق فيما يعتقده القلب.

أولا: روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال:

«ما من شيء إلا وله كيل ووزن إلا الدموع فإن القطرة تطفئ بحارا من نار، فإذا أغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهها قتر ولاذلة فإذا فاضت حرمه الله على النار ولو أن باكيا بكى في أمة لرحموا»[1].

ثانيا: عن أبي حمزة ـ الثمالي ـ، عن أبي جعفر ـ الباقر عليه السلام ـ قال:

«ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرة دموع في سواد الليل مخافة من الله لا يراد بها غيره»[2].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج٢، ص٤٨١، باب (البكاء)، ح١. جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ج١٤، ص١٧٥، برقم٢١٧٠(٧٣).

(٢) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج٢، ص٤٨٢، باب (البكاء) ح٣. ذخيرة المعاد، المحقق السبزواري: ج١، ق٢، ص٣٥٧.

ثالثا: عن محمد بن مروان، عن الصادق عليه السلام قال:

«**كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة: عين غضت عن محارم الله، وعين سهرت في طاعة الله، وعين بكت في جوف الليل من خشية الله**»[1].

ويكشف هذا الحديث عن أسباب حصول البكاء وتحصن هذه العيون الثلاث من تعرضها لهذه الأسباب وهي:

١ ـ الألم الجسدي والنفسي: إن من الأسباب الموجبة لحصول البكاء وذرف الدموع هو تعرض الجسد لآلام شديدة خارجة عن تحمل الجسد أو النفس وهما من لوازم يوم القيامة.

٢ ـ الخوف والفزع: يبكي الإنسان دون أن يدري في حالة الخوف والفزع وأن تفاوت الرجال والنساء في القدرة على تحمل الخوف أو الفزع؛ أما أهوال يوم القيامة فلا قدرة للإنسان على تحملها فكيف لا يضج بالبكاء.

٣ ـ الندم والحسرة:

من الحالات النفسية التي يصاحبها الدمع هو الندم وكلما كان الشيء ثمينا كلما عظم معه الإحساس بالندم والشعور بالتقصير، وكلما تعاظم الإحساس بالندم والتقصير كلما كان الدمع أكثر والبكاء أطول والسبب في ذلك هو عدم قدرة الإنسان على تفادي الخسارة أو القدرة على التعويض، وأعظم الخسارة هي خسارة الإنسان لنفسه في آخرته.

(١) كتاب الزهد، الحسين بن سعيد الكوفي: ص٧٧، برقم٢٠٦. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٩٠، ص٣٣٣، برقم٢١.

ولذلك عد القرآن الكريم المقصر في حق نفسه وآخرته بالظالم، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(١).

وقال تعالى:

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾(٢).

ولذلك:

حصنت العين التي كانت تغض النظر عن محارم الله تعالى في الحياة الدنيا من التعرض للخوف أو الألم أو الندامة أو الحسرة لأنها لم تفرط في حق الله ولم تضيع نعمة الله تعالى.

كما أن العين التي سهرت في طاعة الله تعالى كطلب العلم أو قراءة القرآن أو حراسة الثغور وما شابه يصونها الله تعالى من أسباب البكاء في يوم القيامة.

أما إذا جمع الإنسان العين الساهرة مع البكاء من خشية الله في جوف الليل فهو مع الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ومن هنا نجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعترته عليهم السلام كثيري البكاء وسريعي الدمعة لما في الدمع من جزاء لا يعلمه إلا الله تعالى فضلاً عمّا فيه من لسان صادق عن مكنون القلب، وهي حالة وجدانية تظهر سمو هذه النفوس وعظم إنسانيتها كما دلت عليها الأحاديث.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٤.

(٢) سورة مريم، الآية: ٣٩.

ألف: روي أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إذا وقف كان لصدره أزيز كأزيز المرجل[١]، لغليان صدره وحركته بالبكاء.

باء: وعن عبد الله بن مسعود قال: (قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«**اقرأ عليّ**».

قلت: يا رسول الله أقرأ عليك، وعليك أنزل؟!.

قال:

«**نعم**».

فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[٢].

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**حسبك الآن**».

فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان)[٣].

وفي لفظ: (فرأيت عيني النبي صلى الله عليه وآله وسلم تهملان)[٤].

---

(١) بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني: ج١، ص٢٣٥. تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ج٣، ص٢٨٧. المغني، عبد الله ابن قدامة: ج١، ص٧٠٧. مسند أحمد: ج٤، ص٢٥. سنن النسائي: ج٣، ص١٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٣) صحيح البخاري، باب (الترتيل في القراءة): ج٦، ص١١٣.

(٤) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن سورة النساء: ج٤، ص٣٠٥.

جيم: وهكذا كان حال الأنبياء عليهم السلام من قبله صلى الله عليه وآله وسلم فها هو إبراهيم الخليل عليه السلام يمتدحه الله تعالى في كتابه الكريم.

فقال:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[1].

أي: كان كثير البكاء[2].

ومن قبله سمي نوح عليه السلام بهذا الاسم لكثرة نوحه من خشية الله تعالى؛ وبكى نبي الله يحيى عليه السلام حتى أثر البكاء في خديه لكثرة بكائه[3].

دال: على نفس هذا النهج النبوي سار أئمة أهل البيت عليهم السلام، ويكفي أن نشير من ذلك الفيض المتدفق إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام الذي لقب بـ(زين العابدين).

فقد روى الراوندي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«كان جدي علي بن الحسين عليهما السلام إذا صلى برز إلى موضع خشن فيصلي فيه ويسجد على الأرض، فأتى الجبّان ـ جبل بالمدينة ـ يوماً، ثم قام على حجارة خشنة محرقة، فأقبل يصلي، وكان كثير البكاء، فرفع رأسه من السجود وكأنما غمس في الماء من كثرة دموعه»[4].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٢) تفسير الواحدي: ج١، ص٤٨٤.

(٣) قصص الأنبياء، ابن كثير: ج٢، ص٣٦٢.

(٤) الدعوات، قطب الدين الراوندي: ص٣٣.

إذن :

حينما يصف المؤرخون، وأصحاب المقاتل حال الإمام الحسين عليه السلام عند خروج ولده علي الأكبر عليه السلام بقولهم: **(ثم نظر إليه نظرة أيس منه، أرخى عينيه وبكى)**(١)، وفي رواية:

«**ولم يتمالك الحسين عليه السلام دون أن أرخى عينيه بالدموع**»(٢).

فإنه يكشف عن قلب تتدفق منه الرحمة والرأفة والأبوة، وعن حزن عميق ليس له قرار، بل فاق حزن يعقوب على يوسف عليهما السلام والسبب في ذلك يعود لأمور، منها:

١ـ إن يعقوب كان يعلم من خلال الوحي أن ولده على قيد الحياة إلا أن الله تعالى لم يكشف عنه هذا البلاء ليجمعه بولده.

٢ـ إن الوحي كان يأتيه بأخباره فيطمئن عليه إلا أن ألم الفراق ونار الشوق الأبوي كان يزيد في دعائه وبكائه.

٣ـ إن يعقوب كان يجد من خلال الأمل في كشف الضر عنه وتفريج كربه برؤية ولده يخفف عليه آلامه.

أما سيد الشهداء عليه السلام فحزنه ليس له قرار فوداعه لولده وداع مفارق لا تجمعهما الحياة الدنيا، ناهيك عن يقينه وإيمانه بأن ولده مقتول لا محالة.

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس: ص٦٧. المجالس الفاخرة، عبد الحسين شرف الدين: ص٢٤٢. إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد السماوي: ص٥١، مقتل الإمام الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ص٢٦٩.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٢٦٩.

ولذلك: صاح بعمر بن سعد:

«مالك؟ قطع الله رحمك كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

فهذه الدموع يعرّفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للناس بقوله:

«إنما هي رحمة يجعلها الله في قلوب عباده؛ وإنما يرحم الله عز وجل من عباده الرحماء»[٢].

نضيف إلى ذلك أن بكاء الأنبياء والأئمة عليهم السلام لا يخرجهم البكاء على الأولاد من طاعة الله تعالى، إذ لو أمكن ذلك لما مدح الله تعالى نبيه يعقوب لبكائه على ولده؛ بل جعل ذلك في طاعته.

وكذا حال وصي رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام حينما أرخى عيونه بالدموع عند خروج ولده علي الأكبر للجهاد في سبيل الله ونصرة حجة الله تعالى.

أما ما هو جزاء هذه الدموع التي بلت وجه الإمام الحسين عليه السلام؟ فجوابه عند إبراهيم الخليل عليه السلام حينما سأل ربه تعالى قائلا:

(أي ربِّ ما جزاء من بل الدمع وجهه من خشيتك؟ قال: صلواتي ورضواني)[٣].

والعلة في ذلك: هو لأن الدمع لسان القلب وصورته الملكوتية.

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس: ص٦٧. المجالس الفاخرة، عبد الحسين شرف الدين: ص٢٤٢. إبصار العين، محمد السماوي: ص٥١. مقتل الإمام الحسين عليه السلام، للمقرم: ص٢٦٩.

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٢، ص٤٦٤. مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني: ص٩٦.

(٣) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ج٢، ص٣٥٠.

المبحث الثالث: الإمام الحسين عليه السلام يكشف عن علم المنايا والبلايا

تعددت الأحاديث النبوية في بيان رتبة أهل البيت عليهم السلام العلمية، فمنها ما أشار إلى كونهم ثقل القرآن الكريم الذي عرّفه الوحي بقوله:

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾(١)، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(٢)، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾(٣)، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٤).

فكان الإمام المعصوم عليه السلام قد أحرز كل ما ضمته دفتا الكتاب العزيز فقال عزّ وجلّ:

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(٥).

وقوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾(٦).

ومن الأحاديث النبوية ما أشار إلى أنهم لا يحتاجون إلى أحد من الناس، والناس كلهم محتاجون إليهم. فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) سورة النبأ، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٥) سورة يس، الآية: ١٢.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

«**لا تعلموهم فهم أعلم منكم**»[١].

ومن الأحاديث ما أشار إلى تعدد علوم أهل البيت عليهم السلام وتنوعها. فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**أنا مدينة الحكمة وعلي بابها**»[٣].

هذه الحكمة التي وصفها القرآن بقوله:

﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٤].

في حين يحتاج الإنسان لنيلها إلى عناية إلهية خاصة، فقال عزّ شأنه:

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٥].

فضلا عن ما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:

«**علّمني ـ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب، ولم يعلّم أحداً ذلك غيري**»[٦].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله: ج١، ص٢٨٧. الخصال، الشيخ الصدوق رحمه الله: ص٥٥٨.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق رحمه الله: ص٤٢٥. شرح الأخبار، القاضي نعمان المغربي: ج١، ص٨٩، ح(أنا مدينة العلم وعلي بابها). مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١، ص٣١٤. العمدة لابن البطريق: ص٢٨٥.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق رحمه الله: ص١٨٨. روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ص١٠٣. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ج١١، ص٢٠٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٥.

(٦) الخصال، الشيخ الصدوق رحمه الله: ص٥٧٢. ورواه الكليني بلفظ آخر في كتاب الروضة: ج٨، ص١٤٧، الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله: ج١، ص٣٤.

وقد روى أئمة أهل البيت عليهم السلام هذه العلوم عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد روى الصفار عن موسى بن بكر قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يغمى عليه اليوم أو اليومين أو الثلاثة والأربعة وأكثر من ذلك لم يقضي من صلاته؟.

فقال:

«ألا أخبرك بما يجمع لك هذا وأشباهه: كل ما غلب الله عليه من أمر فالله أعذر لعبده».

وزاد غيره أنه قال:

«وهذا من الأبواب التي فتح كل باب منها ألف باب»)[١].

ومن هذه العلوم التي ورثها أئمة أهل البيت عليهم السلام هو علم المنايا والبلايا؛ بل قد منح أمير المؤمنين عليه السلام هذا العلم بعض أصحابه كرشيد الهجري وسلمان الفارسي[٢]، فكيف بأئمة أهل البيت عليهم السلام وهم الذين قد ورثوا علم رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«إنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان أمين الله في أرضه فلما قبضه الله جعل أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا، وأنساب العرب وفصل الخطاب ومولد الإسلام»[٣].

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام)، الحر العاملي: ج٨، ص٢٦٠.

(٢) صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي: ج٣، ص٤٢١.

(٣) بصائر الدرجات: ص١٣٩.

«وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق؛ وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا»(١).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«والله لقد أعطاني الله تبارك وتعالى تسعة أشياء لم يعطها أحدا قبلي خلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لقد فتحت لي السبل، وعلمت الأنساب، واجري لي السحاب، وعلمت المنايا والبلايا، وفصل الخطاب، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربي فما غاب عني ما كان قبلي وما يأتي بعدي، وإن بولايتي أكمل الله لهذه الأمة دينهم، وأتم عليهم النعم، ورضي إسلامهم»(٢).

وعلم المنايا والبلايا هو العلم المخصوص بآجال الناس وما ينزل بهم من بلايا، وهو نوعان الأول مكتوب في اللوح المحتوم والثاني مكتوب في اللوح المحفوظ.

فأما الأول فيجري فيه التغيير في كل سنة في ليلة النصف من شعبان وفي ليلة القدر؛ وهما الليلتان اللتان يكتب الله تعالى فيهما ما يجري على الخلق من أرزاق وآجال؛ أما ما يعتري الإنسان من مرض وهمٍّ وغمٍّ وابتلاء في المال أو الولد أو الرحم فمرده إلى رحمة الله تعالى التي ارتبطت بصالح الأعمال كالاستغفار وصلة الرحم والصدقة وزيارة الإمام الحسين عليه السلام وما إلى ذلك.

---

(١) بصائر الدرجات: ص١٣٩.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق رحمه الله: ص٤١٥. وروى القندوزي الشافعي بلفظ قريب من هذا الحديث في، ينابيع المودة: ج١، ص٢٣١.

وجميع ذلك تعرضه الملائكة على حجة الله تعالى في أرضه فيطلع عليه ويعرف ما يجري على الخلق وما ينزل إليهم من السماء وما يحل بهم من البلاء.

وعلم الإمام عليه السلام بالمنايا والبلايا يكون من عرض الملائكة عليه بإذن الله تعالى بادئ الأمر عما يوجد في اللوح المحفوظ الذي فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ثم ما ينزل من اللوح المحفوظ إلى اللوح المحتوم في تلك الليلتين.

وتلك الحقيقة يعرفها القرآن الكريم في نزول الملائكة المقربين عليهم السلام على إبراهيم الخليل حينما نزل الأمر الإلهي في هلاك قوم لوط عليه السلام قال تعالى:

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾[١].

والآيات الكريمة لا تتحدث فقط عن إطلاع الملائكة لإبراهيم عليه السلام على المنايا التي ستنزل بقوم لوط عليه السلام وإنما أطلعته كذلك على ما سيرزقه الله تعالى من ذرية وهما إسحاق ومن بعده يعقوب وإن الله تعالى جعل فيهم النبوة لتكون النبوة منتقلة إلى ثلاثة أظهر من إبراهيم عليه السلام فمنه إلى إسحاق ثم إلى ولده يعقوب ثم إلى ولده يوسف عليهم السلام.

---

(١) سورة هود، الآيات: ٧٠ إلى ٧٤.

بل إن الأمر لأعظم مما جاءت به هذه الآيات الكريمة، وهو ما ارتبط بملكوت السموات، قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[(١)].

ومما في ملكوت السموات هو اللوح المحفوظ وما ينزل منه إلى اللوح المحتوم في الأرض كل هذا رآه إبراهيم الخليل عليه السلام؛ وما رآه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حينما عرج به إلى السماء لأعظم بكثير مما رآه إبراهيم الخليل عليه السلام، قال عز وجل:

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا ﴾[(٢)].

حينها يكون علم المنايا والبلايا هو شيئاً يسيراً مما أوتي سيد الخلق صلى الله عليه وآله كما أنه باب من ألف باب من العلم الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوصيه أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو مما ورثه الإمام الحسين عليه السلام ليكشف منه جانبا في يوم عاشوراء حينما خرج ولده علي الأكبر عليه السلام ليشهد التاريخ هذه الحقيقة القرآنية.

فـ(صاح بعمر بن سعد:

«مالك؟ قطع الله رحمك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلط عليك من يذبحك على فراشك»[(٣)].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

(٢) سورة النجم، الآيات: ٨ إلى ١٢.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٤٥، ص٤٣. لواعج الأشجان: ص١٧٠.

وهذه المنية والبلية التي ستحل بعمر بن سعد وولده رافقها بيان لأسباب حلول هذه المنية والبلية، فإقدام عمر بن سعد على قتل ولد الإمام الحسين عليه السلام وقطع رحمه، سيكون عاقبته قتل القاتل وقطع رحمه أيضا، فسبحان من اصطفى لدينه من يشاء، وهو أعلم حيث يجعل رسالته.

فكيف تحقق هذا الدعاء، وكيف حلت بعمر بن سعد هذه المنية ونزلت به وبابنه البلية؟

المسألة الأولى: تحقق ذبح عمر بن سعد على فراشه وقتل ولده من بعده

تناولنا في الفصل السابق (تحقق الأثر الغيبي في دعاء الإمام الحسين عليه السلام بعد عاشوراء) ممثلا في خروج المختار الثقفي في الكوفة وقيامه بالقصاص من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وتتبعه للمجرمين فلم يبق أمامه سوى عمر بن سعد، فكان تمكنه منه جرى بالكيفية التي تدل على تحقق الأثر الغيبي في دعاء الإمام الحسين عليه السلام؛ كما تدل على تحقق علم المنايا في قول الإمام حينما كشفه وللمنية التي لقي فيها عمر بن سعد حتفه، وقطع رحمه؛ لتبقى حقيقة تاريخية لكل الأجيال وحجة دامغة على منكر فضل أهل البيت عليهم السلام واختصاصهم بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهم الأمناء من بعده على شريعة الله تعالى.

أما كيف كان هلاك عمر بن سعد؟ فهو كالآتي:

قال عمر بن الهيثم: (كنت جالسا عن يمين المختار، والهيثم بن الأسود عن يساره فقال: والله لأقتلن رجلا عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، يهمر الأرض برجله، يرضي قتله أهل السماء والأرض.

فسمع الهيثم قوله، ووقع في نفسه أنه أراد عمر بن سعد فبعث ولده العريان فعرفه قول المختار، وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة أعز الناس على المختار، قد أخذ لعمر أمانا حيث اختفى فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمان المختار بن أبي عبيدة الثقفي لعمر بن سعد بن أبي وقاص، أنك آمن بأمان الله تعالى على نفسك وأهلك ومالك وولدك، لا تؤاخذ بحدث كان منك قديما ما سمعت وأطعت ولزمت منزلك، إلا أن تحدث حدثا، فمن لقى عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد ﷺ فلا يعرض له إلا بسبيل خير، والسلام)، ثم شهد فيه جماعة.

قال الباقر عليه السلام:

«**إنما قصد المختار (ألا أن تحدث حدثا) هو أن يدخل بيت الخلا، ويحدث**».

فظهر عمر بن سعد إلى المختار، فكان يدنيه ويكرمه ويجلسه معه على سريره، وعلم بقول المختار فيه، فعزم على الخروج من الكوفة، فأحضر رجلا من بني تيم اللات اسمه مالك بن دومة، وكان شجاعا، وأعطاه أربعمائة دينار، وقال: هذه معك لحوائجنا وخرجا، فلما كان عند حمام عمر أو نهر عبد الرحمن وقف وقال: أتدري لم خرجت؟، قال: لا، قال: خفت المختار، فقال ابن دومة: هو أضيق أستا من أن يقتلك، وإن هربت هدم دارك ، وانتهب عيالك ومالك، وخرب ضياعك، وأنت أعز العرب، فاغتر بكلامه فرجعا على الروحاء فدخلا الكوفة مع الغداة. هذا قول المرزباني.

وقال غيره: إن المختار عليم بخروجه من الكوفة، فقال: الله أكبر وفينا له وغدر، وفي عنقه سلسلة لو جهد أن ينطلق لما استطاع، فنام عمر بن سعد على

الناقة فرجعت وهو لا يدري حتى ردته إلى الكوفة، فأرسل عمر ابنه إلى المختار، قال له: أين أبوك؟، قال: في المنزل، ولم يكونا يجتمعان عند المختار، وإذا حضر أحدهما غاب الآخر خوفا أن يجتمعا فيقتلهما.

فقال حفص: أبي يقول: أتفي لنا بالأمان؟، قال: اجلس، وطلب المختار أبا عمرة، وهو كيسان التمار فأسر إليه أن اقتل عمر بن سعد، وإذا دخلت عليه وسمعته يقول: يا غلام، علي بطيلساني، فاعلم أنه يريد السيف، فبادره واقتله، فلم يلبث أن جاء ومعه رأسه.

فقال حفص: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له: أتعرف هذا الرأس؟، قال: نعم، ولا خير في العيش بعده، فقال: إنك لا تعيش بعده، وأمر بقتله.

وقال المختار: عمر بالحسين عليه السلام، وحفص بعلي بن الحسين عليه السلام ولا سواء، والله لأقتلن سبعين ألفا كما قتل بيحيى بن زكريا عليهما السلام.

وقيل: إنه قال: لو قتلت ثلاثة أرباع قريش لما وفوا بأنملة من أنامل الحسين عليه السلام، وكان محمد بن الحنفية يعتب على المختار لمجالسة عمر بن سعد وتأخيره قتله، فحمل الرأسين إليه إلى مكة مع مسافر بن سعد الهمداني وظبيان بن عمارة التميمي، فبينا محمد بن الحنفية جالسا في نفر من الشيعة، وهو يعتب على المختار، فما تم كلامه إلا والرأسان عنده، فخر ساجدا، وبسط كفيه، وقال: اللهم لا تنس هذا اليوم للمختار، وأجزه عن أهل بيت نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير الجزاء، فوالله ما على المختار بعد هذا من عتب)[1].

(١) ذوب النضار، ابن نما الحلي: ص١٢٦ إلى ١٢٩. الفتوح لابن أعثم: ج٦، ص٢٤٦. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٩.

المسألة الثانية: وجوب حفظ قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يظهر دعاء الإمام الحسين عليه السلام وجوب حفظ قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله على كل مسلم ومسلمة وأن التفريط في حفظ قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخلف هلاك المفرط في هذا الحق، فضلا عن كونه انتهاكاً لحرمة الله وحرمة رسوله صلى الله عليه وآله، وكفراً بنعمة الله تعالى؛ والأحاديث النبوية الدالة على ذلك كثيرة، فمنها:

أولا: في كونهم من نعم الله تعالى

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أحبوا الله لما يغدوكم به من نعم وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي»[1].

ثانيا: في كون صلتهم هي صلة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فعن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما بال أقوام تقول: إن رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنفع يوم القيامة، والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض»[2].

ثالثا: في أن التعرض لقرابة رسول الله قولاً أو فعلاً يوجب دخول النار

ألف/ عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«تزعمون أن قرابتي لا تنفع قومي؟ والله إن رحمي موصولة في الدنيا

---

(١) علل الشرايع، الشيخ الصدوق رحمه الله: ج١، ص١٣٩. تاريخ الإسلام، الذهبي: ج٨، ص٢٢٤. بشارة المصطفى، الطبري: ص٣٦٢.

(٢) مسند أحمد: ج٣، ص٦٢، مسند أبي سعيد الخدري.

والآخرة إذا كان يوم القيامة يرفع لي قوم يؤمر بهم ذات اليسار فيقول الرجل: يا محمد أنا فلان بن فلان، ويقول الآخر أنا فلان بن فلان، فأقول أما النسب قد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم على أعقابكم القهقرى»[1].

باء/ وقد أوضح صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر روته أم سلمة رضي الله عنها عن مصير هؤلاء الذين تعرضوا لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاك حرمته، فقال:

«أيها الناس بينما أنا على الحوض جيء بكم زمرا فتفرقت بكم الطرق فناديتكم إلا هلموا إلى الطريق فناداني مناد: إنهم قد بدلوا بعدك، فقلت ألا سحقا سحقا»[2].

جيم/ ويظهر من خلال حديث آخر رواه أبو هريرة: أن السبب الذي جعلهم يدخلون النار هو انتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال التعرض لقرابته وإيذائهم ودفعهم عن مقامهم ومنزلتهم التي خصهم الله تعالى بها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«بينما أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم.

فقلت: أين؟!

---

(١) مسند أحمد: ج٣، ص٣٩، مسند أبي سعيد الخدري.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٦، ص٢٩٧. مسند ابن راهويه: ج٤، ص٢٠٠.

قال: إلى النار!!.

قلت: ما شأنهم؟!.

قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»[١].

فهنا، وإن كان الراوي لم يفصح عن انتهاء هذه الزمرة وتحديد هويتها الزمانية إلا أن هناك أحاديث شريفة توضح مَنْ هذه الزمرة.

رابعا

ويظهر من خلال سياق الأحاديث النبوية الشريفة أن أول من تعرض لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان السبب الأول في غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإطلاقه لهذه الأحاديث هو عمر بن الخطاب.

إلا أنّ بعض الحفاظ لم يشاءوا أن يصرحوا بالاسم وإذا صرحوا به حذفوا أسباب صدور الحديث النبوي، كأحمد بن حنبل في مسنده[٢].

أو أن البعض قد جمع بين حوادث ثلاث في هذا الحديث كالهيثمي في زوائده[٣]، فقد جعل حادثة غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما تعرضت عمته صفية للتجريح بالقول، وبين زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم، وبين تعرض الأعراب لنسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ والعياذ بالله ـ كلها جمعها في حديث واحد.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق: ج٧، ص٢٠٩.

(٢) مسند أحمد: ج٣، ص٣٩. مسند أبي سعيد الخدري، طبعة دار صادر.

(٣) مجمع الزوائد: ج٨، ص٢١٦.

إذن: سبب صدور الحديث النبوي الشريف في (حفظ قرابته) كان لما يأتي:

روى علي بن إبراهيم القمي عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، أنه قال:

«إنّ صفية بنت عبد المطلب مات ابن لها فأقبلت، فقال لها الثاني ـ أي: عمر بن الخطاب ـ غطي قرطك فإن قرابتك من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا تنفعك شيئا، فقالت له:

هل رأيت لي قرطا يابن اللخناء، ثم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بذلك وبكت.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فقال:

ما بال أقوامٍ يزعمون أن قرابتي لا تنفع لو قد قربت المقام المحمود لشفعت في أحوجكم، لا يسألني اليوم أحد من أبواه إلا أخبرته، فقام إليه رجل فقال: من أبي؟، فقال: أبوك غير الذي تدعي له، أبوك فلان بن فلان.

فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله؟، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

أبوك الذي تدعي له.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ما بال الذي يزعم أن قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه؟.

فقام إليه الثاني ـ أي: عمر بن الخطاب ـ فقال له: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله أعف عني عفى الله عنك.

فأنزل الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾[(١)]».

ولم يصرح الإمام الباقر عليه السلام باسم عمر بن الخطاب وأشار إليه بقوله (الثاني) بقصد التقية، أما سبب خلط الرواة بين قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي فإنها موصولة في الدنيا والآخرة»[(٢)].

وبين التعرض لقرابته وانها لا تغني شيئاً. هو أن حديث كل سبب ونسب كان سبب صدوره عن الحضرة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم هو لقول بعض أبناء قريش الذين باتوا معروفين في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذين لم يصرح بهم الرواة كما هو معتاد، فإنهم قالوا: **«إنّ مثل محمد مثل نخلة في كبوة»**[(٣)].

وقول عبد الله بن الزبير ـ المجاهر ببغضه لبني هاشم ـ: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال:

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ١٠١، ١٠٢. تفسير القمي: ج١، ص١٨٨. وقريب منه ذكره الهيثمي في الزوائد: ج٨، ص٢١٦. والقندوزي في ينابيع المودة: ج٢، ص١٠٩، (ولم يصرح باسم عمر بن الخطاب).

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق رحمه الله: ص٥٥٩. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ابن شهر آشوب: ج٢، ص١٧.

(٣) سنن الترمذي: ج٥، ص٢٤٤. تحفة الأحوذي، المباركفوري: ج١٠، ص٥٤. الفائق في غريب الحديث، الزمخشري: ج٣، ص١٣٨.

«إن مثلي ومثل أهل بيتي كمثل نخلة نبتت في مزبلة!!» ـ نعوذ بالله ممن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

فهذا الحديث الذي صرح فيه الهيثمي بكذب ابن الزبير على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال معقبا عليه: (رواه الطبراني وهو منكر والظاهر أنه من قول الزبير)[1].

لهو حديثٌ مشين وقد ذمّ نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي كان سبباً في قوله:

«**كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة**».

وقد سبقه خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد ومناداته ليلا:

«**يا بلال هجر بالصلاة**».

فلما اجتمع القوم، قام صلى الله عليه وآله وسلم: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«**يا أيها الناس من أنا؟**».

فقالوا: أنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«**أنسبوني؟**».

قالوا: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال:

«**أجل أنا محمد بن عبد الله وأنا رسول الله، فما بال أقوام يبتذلون أصلي، فوالله لأنا أفضلهم أصلا وخيرهم موضعا**».

قال: فلما سمعت الأنصار بذلك قالت: قوموا فخذوا السلاح فإن رسول

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي: ج٨، ص٢١٦. كنز العمال للمتقي الهندي: ج١١، ص٤٥٣.

الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أغضب؛ فأخذوا السلاح ثم أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا ترى منهم إلا الحدق حتى أحاطوا بالناس فجعلوهم في مثل الحرة حتى تضايقت بهم أبواب المساجد والسكك، ثم قاموا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالوا: يا رسول الله لا تأمرنا بأحد إلا أبرنا عترته.

فلما رأى النفر من قريش ذلك قاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتذروا وتنصلوا فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«الناس دثار والأنصار شعار، فأثنى عليهم وقال خيرا»[1].

أما الحديث النبوي الشريف:

«ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع».

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما بال أقوام تقول: إن رحم رسول الله لا تنفع يوم القيامة».

فسببه ـ كما مرّ ـ هو تعرض عمر بن الخطاب لصفية بنت عبد المطلب وقوله لها: «إن قرابتك من رسول الله لا تنفعك شيئا».

خامسا: من هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

هذا السؤال قد طرحه صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما نزل قوله تعالى:

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2].

(١) مجمع الزوائد ـ الهيثمي ـ: ج٨، ص٢١٧. ذخائر العقبى ـ الطبري ـ: ص١٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

فكان جوابه ما يلي :

ألف : فعن ابن عباس قال : لما نزلت :

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ .

قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«**علي وفاطمة وابناهما**»[1].

باء : ولقد حاول المخالفون للعترة النبوية حرف الحق عن أهله فنسبوا القرابة إلى أربعة أقوال وغفلوا أن القرآن بينة آياته واضحة دلالاته :

الأول

قرابتي منكم وهو أظهر الأقوال عند السمعاني ، الذي قد جعل في هذا القول حقاً للمنافقين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه أطلق القول في القرابة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ومنهم المنافقون ، لاسيما وأنه قد بين معناه فقال : لا أسألكم غلا أن تودوني لقرابتي منكم ، وهو أمر عجيب يضحك الثكلى ، إذ كيف يود المنافقون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم العدو المبين له فقال تعالى :

(١) العمدة لابن البطريق : ص٤٧. سعد السعود ـ السيد ابن طاووس ـ : ص١٤٠. ذخائر العقبى للطبري : ص٢٥. مجمع الزوائد للهيثمي : ج٧، ص١٠٣. المعجم الكبير للطبراني : ج٣، ص٤٧. عمدة القارئ للعيني : ج١٩ ، ص١٥٧. تفسير الثعلبي : ج٨، ص٣٧. تفسير النسفي : ج٤ ، ص١٠١. تفسير الرازي : ج١٦٦. تفسير ابن عربي : ج٢، ص٢١٩. تفسير البيضاوي : ج٥ ، ص١٢٨. تفسير الدر المنثور للسيوطي : ج٦ ، ص٧. فتح القدير للشوكاني : ج٤ ، ص٥٣٧.

﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[١].

وإذا كان أجر الرسالة مرهوناً بمودة المنافقين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلى الإسلام السلام.

أما إذا كان معناه قرابته صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين فالطامة أعظم!.

جيم: تصلون القرابة التي بيني وبينكم بالاستجابة لي إلى ما ادعوا عليه وتكفون عني، وهذا أعجب فكيف تكون القرابة سبباً للهداية والله يقول له:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٢].

وأين عمه أبو لهب من هذه القرابة ثم أليست هذه عصبية الجاهلية القائمة على تقديم الأنساب والرمام على الإسلام ثم ما تقول لسؤال الله تعالى عن أجر الرسالة إذ قال:

﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

القول الثاني

عن الحسن البصري ويقول فيه:

(أن يتوددوا إلى الله بما يقربكم إليه من العمل الصالح وهذا الرأي فيه مخالفة صريحة للآية إذ تحدد الآية السؤال عن عمل واحد وهو المودة وتضعه مقابل أجر الرسالة المحمدية ثم يجعلها هذا القول في كل الأعمال الصالحة ثم أن مودة الأعمال الصالحة تحصيل حاصل عند المؤمنين فلا يحتاجون إلى من يقول لهم أيها المؤمنون

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٦.

أنا أعطيكم أجراً إذا أحببتم الأعمال الصالحة فكيف يصدق عليهم أنهم مؤمنون وهم يبغضون الأعمال الصالحة.

والقول الثالث

عن الضحاك، وهو: أن الآية منسوخة؛ وهذا من أعجب ما قيل ومثله كمن يضع الخمار على عين الشمس ظناً منه أنه قد حجب ضوءها.

القول الرابع

قال السمعاني ما روى في بعض الغرائب من الروايات... الخ: (أن تودوا أقربائي وتحبوهم) وهنا يظهر السمعاني نصف الحقيقة فيصبح كمن أمسك بسيف ذي حدين فلا يستطيع أن يفصح من هم هؤلاء القرابة الخاصة ولم يستطع أن يعم كل قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاسيما وأن فيهم أبا لهب فكيف يطالب المسلم بحب المشرك؟!

ثم لم يجد السمعاني وغيره مخلصا من هذا المأزق غير ذكر الحقيقة التي ينكرها قلبه فقال: (وحكى بعضهم أن النبي سئل عن هذه، وعن معنى القرابة فقال:

«**علي وفاطمة وولدهما**».

فعقب عليه بقوله: (وهذا أغرب الأحاديث وأضعفها)[1].

ونقول: فهي أغربها على قلبه وأضعفها في ميزان أعماله.

بلى: إن قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما هو ثابت بالتواتر هم علي

---

(١) تفسير السمعاني: ج٥، ص٧٣ـ٧٤.

وفاطمة وولدهما، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين باهل بهم النصارى، والذين خصهم الله تعالى بالسلام في محكم كتابه الكريم تفضيلا لهم على آل الأنبياء فقال:

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾[1].

جيم: ولم يشأ المؤمنون أن يدعوا المنافقين يحرفون عقائد المسلمين، فقد روى الكليني رحمه الله عن علي بن الحكم عن ابن عبد الخالق قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحول وأنا أسمع:

«أتيت البصرة؟».

فقال: نعم، قال:

«كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟».

قال: والله إنهم لقليل ولقد فعلوا، وإن ذلك لقليل، فقال:

«عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير، ثم قال: ما يقول أهل البصرة في هذه الآية».

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾؟.

قلت: جعلت فداك إنهم يقولون: إنها لأقارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

«كذبوا، إنما نزلت فينا خاصة في أهل البيت في علي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء عليهم السلام»[2].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٣٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله: ج٨، ص٩٣.

دال: وروى علي بن جعفر الصادق عليه السلام عن الحسين بن زيد الشهيد، عن أبيه، عن جده عليه السلام قال:

«**خطب الإمام الحسن عليه السلام حين قتل علي عليه السلام ثم قال: وإنا من أهل بيت افترض الله مودتهم على كل مسلم، حيث يقول:**

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾»(١).

إذن:

استحق عمر بن سعد ـ لكونه قائد الجيش وإليه يرجع الأمر في المعركة ـ حلول غضب الله تعالى لانتهاكه حرمة الله عز وجل وحرمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقطعه رحم رسوله وعدم حفظ قرابته صلى الله عليه وآله وسلم.

بمعنى آخر:

إنّ دعاء الإمام الحسين عليه السلام عند خروج علي الأكبر عليه السلام يكشف عن سنة كونية مفادها أن التعرض لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلحاق الأذى بهم يوجب قطع رحم الجاني، أي هلاك ذريته؛ كما حدث لعمر بن سعد.

المسألة الثالثة: مشابهة علي الأكبر لجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

كيف بدا جمال علي الأكبر عليه السلام

(كي نتصور هذا الجمال ونراه بعين القلب قبل عين قوة الخيال فلابد من التعرف على جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!؟.

لأن علياً الأكبر كان أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) مسائل علي بن جعفر: ص٣٢٨.

بل يدل لفظ المعصوم عليه السلام:

«**وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه**».

على التشابه السنخي وليس النسخي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ أي: أنه كان عين جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحيث لا يختلف فيه اثنان من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن النظر إليه يطفئ لهب الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه سنخ منه وليس نسخاً فقد يكون النسخ يشابه الأصل بدرجات متفاوتة لكن السنخ هو من عين الأصل.

وهذا يكشف عن مدى الألم الذي خلفه فقد علي الأكبر على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما على قلب أبيه الحسين عليه السلام.

صفة جمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أخرج الشيخ الطوسي رحمه الله عن الإمام علي بن موسى، عن جعفر، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام ـ أنه قيل له ـ: يا علي صف لنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كأننا نراه فإنا مشتاقون إليه، قال:

«**كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبيض اللون مشربا بحمرة، أدعج العينين، سبط الشعر، كث اللحية ذا وفرة، دقيق المسربة، كأنما عنقه إبريق فضة، يجري في تراقيه الذهب، له شعر من لبته إلى سرته كقضيب خيط إلى السرة، وليس في بطنه ولا صدره شعر غيره.**

شثن الكفين والقدمين، شثن الكعبين، إذا مشى كأنما ينقلع من صخر، إذا أقبل كأنما ينحدر من صبب، إذا التفت التفت جميعا بأجمعه كله، ليس بالقصير المترد ولا بالطويل الممعط، وكان في

وجهه تداوير، إذا كان في الناس غمرهم، كأنما عرقه في وجهه اللؤلؤ، عرقه أطيب من ريح المسك ليس بالعاجز ولا باللئيم، أكرم الناس عشرة، والينهم عريكة، وأجودهم كفا، من خالطه بمعرفة أحبّه، ومن رآه بديهة هابه، غرة بين عينيه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم»(١).

وهذا الجمال وهذه المعاني كلها كانت ملاحظة في شخص علي الأكبر عليه السلام؛ أي: أنه كان في يوم عاشوراء أحد تلك الوجوه التي كانت تحاكي في جمالها تلك الوجوه التي خرجت لمباهلة نصارى نجران.

هل هناك من شابه النبي خَلقاً وخُلقاً؟.

قد يتساءل البعض عن إمكانية حصول هذا المستوى من التشابه بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين علي الأكبر عليه السلام؟ وجوابه في أمرين:

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٣٤١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله: ج١، ص٤٤٣، عن الباقر عليه السلام. مسند زيد بن علي: ص٤٢٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق رحمه الله: ج٢، ص٣٨٣. معاني الأخبار: ص٨١. مناقب الإمام علي للكوفي: ص١٩. مكارم الأخلاق للطبرسي: ص١٢. المناقب لابن شهر آشوب: ج١، ص١٣٥. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج١٦، ص١٤٤ وص١٦٥. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٦٨٤. مسند أحمد بن حنبل: ج١، ص٩٦ وص١٠١ وص١٩٠. سنن الترمذي: ج٥، ص٢٥٩ وص٢٦٠، ط دار الفكر. مجمع الزوائد للهيثمي: ج٨، ص٢٧٢. المصنف لابن أبي شيبة: ج٧، ص٤٤٥. الشمائل المحمدية للترمذي: ص١٧، ط مؤسسة الكتب الثقافية. صحيح ابن حيان: ج١٤، ص٢١٧، ط مؤسسة الرسالة. الشفا للقاضي عياض: ج١، ص١٠٦، ط دار الفكر. الاستذكار لابن عبد البر: ج٨، ص٣٣١، ط دار الكتب العلمية. أسد الغابة: ج١، ص٢٥، ط إسماعيليان.

الأمر الأول

فقد دلت الأبحاث العلمية وبخاصة في مجال الهندسة الوراثية على إمكانية حصول نقل الصفات الوراثية كاملة من شخص إلى آخر من خلال ما يختزنه الشريط الوراثي في كل جينة، بمعنى: أن الأسباب والمكونات الطبيعية التي أوجدها الله تعالى في الجينة الوراثية تمكنها من نقل هذا التشابه وبهذا المستوى.

الأمر الثاني

قد دلّت الروايات: على أن هناك من شابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن عمه جعفر بن أبي طالب عليهما السلام، فقد (كان اشبه الناس خلقا وخلقا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[1]، وحصول هذا التشابه ما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه جعفر بن أبي طالب من الناحية العلمية أشد تعقيدا في حصوله ما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي الأكبر وذلك لأنه يرجع بالجينة الوراثية إلى رتبة أعلى لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعفر بن أبي طالب عليه السلام أبناء عم.

بينما علي الأكبر حفيده وهذا أسرع في نقل الصفات الوراثية إليه لكونه فرعاً من الأصل.

إذن: كان جعفر بن أبي طالب عليه السلام أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2][3].

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٢٢، ص٢٧٥. الاستيعاب لابن عبد البر: ج١، ص٢٤٢. شرح مسند أبي حنيفة لملا علي القارئ: ص٣٥٩. الإكمال في أسماء الرجال لابن ما كولا: ص٣٧. مقاتل الطالبيين للإصفهاني: ص٥٦.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) الجمال في عاشوراء، السيد نبيل الحسني: ص٨٧ إلى ٩٠.

المسألة الرابعة: بيان القانون الجزائي في دعاء الإمام الحسين عليه السلام

من المسائل التي تضمنها دعاء الإمام الحسين عند خروج ولده علي الأكبر عليهما السلام مسألة القانون الجزائي وترتب خمسة أنواع من العقوبات على تلك الجناية التي ارتكبها جيش عمر بن سعد في قتاله لعلي الأكبر بشكل خاص ولقتاله الإمام الحسين عليه السلام بشكل عام لما في قتل علي الأكبر من أثر كبير على آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن انتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المقاتلة والجناية.

وقد عُرِّف القانون الجزائي في القانون الوضعي بـ(مجموعة القواعد القانونية التي تتضمن تعريف الأفعال المجرّبة وتقسيمها لمخالفات وجنح وجرائم ووضع العقوبات المفروضة على الأفراد في حال مخالفتهم للقوانين والأنظمة والأخلاق والآداب العامة.

ويتبع هذا القانون قانون الإجراءات الجزائية الذي ينظم كيفية البدء بالدعوى العامة وطرق التحقيق الشّرطي والقضائي لمعرفة الجناة واتهامهم وضمان حقوق الدفاع عن المتهمين بكل مراحل التحقيق والحكم.

ويختلف الفقهاء ـ بالإضافة إلى الخبراء القانونيين ـ حول تصنيف القانون الجزائي ما بين عام وخاص، فالبعض يضعه في مصاف القانون العام نظرا لأن العقوبات تفرضها الدولة فقط.

بينما يضع البعض الآخر هذا القانون ضمن الحقوق الخاصة نظرا لأن العقوبات والتجريم تنطبق فقط على الأشخاص الخاصة من طبيعيين ومعنويين دون أشخاص القانون العام)[١].

---

(١) فروع القانون ـ **Or. WIKIMEDIA.org/wiki**

وبناءً على ذلك: فإن الدعاء ينص على قانون جزائي كوني؛ بمعنى أن هناك من الجرائم التي تأخذ من العقوبات الكونية في الحياة الدنيا ما تكون دائرة نفوذه أكبر مما يتعلق بنفس الجاني.

والعلة في ذلك: هو ارتباط المجني عليه بالسماء فكلما كان هذا الارتباط أعظم كانت دائرة العقوبات أوسع؛ ومما لا ريب فيه أن أعظم ارتباط وأوثقه بين الأرض والسماء كان في شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن أهل بيته المعصومين عليهم السلام هم من سنخ هذا الارتباط وهو الأمر الذي نص عليه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وفعلاً.

فأما القول: فيكفي مما ورد عنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحامتي، لحمهم لحمي ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، ويبسطني ما يبسطهم، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحب لمن أحبهم، إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليّ وعليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»[1].

وأما الفعل: فيكفي مما ورد عنه في الأثر: جمعه لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في بيت أم سلمة وتجليله لهم بالكساء اليماني ومنعه أم سلمة من الدخول معهم تحت الكساء وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لها:

«إنكِ على خير».

---

(١) ورد هذا الحديث مختصراً وكاملا في كتب الحديث، والرجال، وغيرها، انظر: جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي: ج١، ص٢٨. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٧٦. ينابيع المودة للقندوزي: ج١، ص٣٤٨. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج٢٤، ص٢٨. المعجم الكبير للطبراني: ج٥، ص١٨٤. الإصابة لابن حجر: ج٨، ص٢٦٩.

ونزول الوحي بقوله تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

فكانت هذه النصوص حجة دامغة قطعت الطريق على المنافقين وألجمت أفواه الجاحدين وفضحت قلوب المغرضين.

ومن هنا: ومن خلال الرجوع إلى بواعث الدعاء نجد أن الإمام الحسين عليه السلام يكشف عن مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يُرجع هذه الأنواع الخمسة من العقوبات إلى قانون جزائي رباني.

وأن أسباب هذه العقوبات تعود للأمور الآتية:

أولا: ينطلق الإمام الحسين عليه السلام من شباهة علي الأكبر عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيان حكم شرعي وسنة سماوية يترتب عليها حفظ علي الأكبر عليه السلام لأنه يحمل صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخَلقية والخُلقية؛ ولذا مجرد الشبه بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يشكل حرمة عند الله تعالى وأن التعرض لهذه الحرمة يستوجب عقوبات شديدة، هذه العقوبات يكشفها الإمام في دعائه.

ثانيا: من البواعث الأخرى لهذه العقوبات التي بيّنها الإمام الحسين عليه السلام هي حرمانه وأهل بيته من النظر إلى شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي يطفئ هذا اللهب المنبعث من الشوق إليه صلى الله عليه وآله وسلم، أي بمعنى: إنزال الألم في قلب

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

الحسين عليه السلام وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحرمانهم من النظر إلى شبيه جدهم ولذلك قال عليه السلام:

«وكنا إذا اشتقنا لرسولك نظرنا إليه».

ثالثا: لكون علي الأكبر عليه السلام امتداداً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن قتله يعني قطع نسب رسول الله وإبادة ذريته التي هي امتداد لذرية الأنبياء عليهم السلام؛ فبقتل الإمام الحسين وولده في يوم عاشوراء يتم القضاء على هذا النسل النبوي، المتدفق من الحسن والحسين فبقتل أحدهما وأولاده يكون الجناة قد أبادوا نصف ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا نجد الإمام الحسين عليه السلام قد ختم دعاءه بقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

ومن هنا: تبرز حكمة الله تعالى في أن يكون الإمام علي زين العابدين مريضاً في يوم عاشوراء لا يستطيع النهوض؛ ومن هنا أيضا يبرز دور العقيلة زينب عليها السلام في حفظ ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلولا تضحياتها المحفوفة بلطف الله تعالى لقضي على نسل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فضلا عن خلو الأرض من حجة الله تعالى.

رابعا: إن هذا القانون الجزائي خاص وعام، فهو خاص بيوم عاشوراء لتعرضهم لقتل علي الأكبر عليه السلام وعام بجميع ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكل من يتعرض لذرية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ينال بعض تلك العقوبات الخمس التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

المسألة الخامسة: علة اختيار الإمام الحسين عليه السلام للعقوبات الخمس في دعائه

أما العقوبات التي نص عليها هذا القانون الجزائي فهي قد وردت في قوله عليه السلام:

«**أللهم فامنعهم بركات الأرض، وفرقهم تفريقا، ومزقهم تمزيقا، واجعلهم طرائق قددا، ولا ترض الولاة عنهم أبدا**».

فهذه العقوبات الخمس قد ورد ذكر بعضها في القرآن الكريم في معرض بيانه لسلوكيات الأمم، وقد دل القرآن الكريم على أسباب وقوع هذه العقوبات كنتيجة حتمية لما ارتكبته هذه الأمم.

بمعنى: أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يبين للمجتمع الإنساني أن التخلق بأخلاق تلك الأمم سيؤدي بالمتخلق بها إلى نفس النهاية التي انتهى بها أولئك.

وإن هذه الأمة قد سلكت ـ في يوم عاشوراء ـ تلك الأخلاق السالفة، ولذا سينالها هذا القانون الجزائي.

العقوبة الأولى: (**منعهم بركات الأرض**)

أي حبس خيرات الأرض وهو الزراعة مما يؤدي إما إلى موت الزرع أو قلة ثمره أو تلفه بالآفات والأمراض والجراد والعوامل الجوية القاسية.

وأما أن يكون منع بركات الأرض، هو رفع البركة في الأكل والشرب فإذا أكلوا لم يشبعوا وإذا جمعوا لم يقنعوا مما يؤدي إلى الاحتكار والحرص وغلاء الأسعار وانتشار الجوع وغيرها من الآفات.

العقوبة الثانية: (**وفرقهم تفريقا**)

أراد الإمام الحسين عليه السلام من ذلك هو عدم اجتماعهم على رأي واحد مما يقتضي اختلافهم وتفريقهم في البلاد فلو اجتمعوا على رأي واحد فسيقدمون على انتهاكات أخرى.

العقوبة الثالثة: (**ومزقهم تمزيقا**)

هذه العقوبة وردت في القرآن الكريم في معرض بيان الوحي لسلوكيات أهل سبأ قبل انهيار السد وغرق المدينة، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1].

ولقد أوردت هذه الآيات كي يتسنى للقارئ الاطلاع على سلوكيات أهل سبأ والعقوبة التي لحقت بهم نتيجة أفعالهم.

قال العلامة محمد حسين الطباطبائي: (سبأ العرب العاربة باليمن سموا ـ كما قيل ـ باسم أبيهم سبأ بن يشحب بن يعرب).

---

(١) سورة سبأ، الآيات: ١٥ إلى ١٩.

وكانوا في نعيم وخير قد رزقهم الله جنتين عن يمين مسكنهم وشماله، ثم انقلبوا على أعقابهم وكفروا بنعمة الله تعالى فعاقبهم على ذلك فأرسل عليهم السيل وقيل المطر الشديد فأهلك زرعهم وماشيتهم وذهب بجنتيهم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي ثمرة مرة وذواتي طرفاء وشيء قليل من السدر.

وباعد بين أسفارهم، أي أنهم تركوا مدينتهم وتفرقوا في البلاد)[(١)].

وروى الطبرسي عن فروة بن مسيك أنه قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن سبأ: أرجل هو أم امرأة؟، فقال:

«هو رجل من العرب، ولد له عشرة، تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة؛ فأما الذين تيامنوا فالأزد، وكندة، ومذحج، والأشعرون، وأنمار، وحمير».

فقال رجل من القوم: ما أنمار، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«الذين منهم خثعم، وبجيلة، وأما الذين شاءموا فعاملة، وجذام، ولخم، وغسان»)[(٢)].

وروى المجلسي رحمه الله عن الكلبي، عن أبي صالح، قال: ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء وكانت قد رأت في كهانتها أن سد مأرب سيخرب، وأنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة، فأقاموا بها وما حولها، فأصابتهم الحمى وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى؟، فدعوا طريفة وشكوا إليها

---

(١) تفسير الميزان، الطباطبائي: ج١٦، ص٣٦٤.

(٢) تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ج٨، ص٢٠٩. المعجم الكبير، الطبراني: ج١٨، ص٣٢٤.

الذي أصابهم فقالت لهم: قد أصابني الذي تشتكون، وهو مفرق بيننا.

قالوا: فماذا تأمرين؟، قالت: من كان منكم ذا هم بعيد، وجمل شديد، ومزاد جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد، فكانت أزد عمان، ثم قالت: من كان منكم ذا جلد وقسر، وصبر على أزمات الدهر، فعليه بالأراك من بطن مر فكانت خزاعة، ثم قالت: من كان منكم يريد الراسيات في الوحل، المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل، فكانت الأوس والخزرج، ثم قالت: من كان منكم يريد الخمر والخمير، والملك والتأمير، وملابس التاج والحرير، فليلحق ببصرى وغوير، وهما من أرض الشام، فكان الذين سكنوها آل جفنة بن غسان.

ثم قالت: من كان منكم يريد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، وكنوز الأرزاق، والدم المهراق، فليلحق بأرض العراق، فكان الذين يسكنونها آل جزيمة الأبرش، ومن كان بالحيرة وآل محرق[1].

فتفرقوا حتى ضرب بهم المثل فيقولون: (تفرقوا أيادي سبأ)[2]، لأن الله تعالى مزقهم فأخذوا طرقات شتى، ومدناً متباعدة عن بعضها.

وروى الحر العاملي عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث أنه قال للحسن البصري:

«نحن القرى التي بارك الله فيها، وذلك قول الله عزّ وجلّ، لمن أقر بفضلنا حيث أمرهم الله أن يأتونا، فقال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾.

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٧٠، ص٣٣٨ إلى ٣٣٩٠.

(٢) تاج العروس، الزبيدي: ج٢٠، ص٣٥٣. لسان العرب: ج١٥، ص٤٢٦.

والقرى الظاهرة الرسل والنقلة عنا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا، وقوله عزّ وجلّ:

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾.

فالسير مثل للعلم يسير به ليالي وأياما مثلا لما يسير به من العلم في الليالي والأيام عنا إليهم في الحلال والحرام والفرائض آمنين فيها إذا أخذوا عن مدنها الذي أمروا أن يأخذوا عنه، آمنين من الشك والضلال والنقلة إلى الحرام من الحلال، فهم أخذوا العلم عمن وجب لهم يأخذهم عنهم المغفرة لأنهم أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا ذرية مصفاة بعضها من بعض، فلم ينته الاصطفاء إليكم بل إلينا انتهى، ونحن تلك الذرية، لا أنت وأشباهك يا حسن»[١].

ولذلك فإن كفرهم بأعظم النعم الإلهية وهي نعمة ولاية العترة عليهم السلام كان سببا في عقوبة هذه الأمة فتفرقت إلى ثلاث وسبعين فرقة.

أما أولئك الذين خرجوا لقتال أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد شملتهم تلك العقوبات الخمس.

العقوبة الرابعة: (واجعلهم طرائق قددا)

هذه العقوبة قد ورد ذكرها في كتاب الله عزّ وجلّ في معرض بيانه لسلوكيات الجن قبل لقائهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال تعالى:

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[٢].

(١) وسائل الشيعة (الإسلامية)، الحر العاملي: ج١٨، ص١١٠.

(٢) سورة الجن، الآية: ١١.

ولقد أخرج السيوطي في الاتقان، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال: (بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن.

فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر فسأله عن آيات عديدة، فكان منها أن قال له: أخبرني عن قوله تعالى:

﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾؟.

قال: المنقطعة في كل وجه. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟.

قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

ولقد قلت وزيد حاسر ... يوم ولت خيل زيد قددا)[1]

وهذا الوصف يعطي بيانا عن نوع العقوبة التي سينالها أولئك الذين خرجوا لقتال سيد شباب أهل الجنة عليه السلام، فأصبحوا بعد واقعة عاشوراء مختلفين لا يجمعهم رأي واحد.

العقوبة الخامسة: (ولا ترضِ الولاة عنهم أبدا)

هذه العقوبة اندرجت في سلم العقوبات ضمن الرتبة الأخيرة، والعلة في ذلك الترتيب هو أن الأسباب الموجودة لهذه العقوبات وقعت في التدرج أيضا.

فمن حيث تسلسل كفر أولئك بنعم الله تعالى كان الكفر بالإمامة ونكرانها.

فلو وفى السلف ببيعة الغدير ووالوا الإمام الأمير عليه السلام لما منعوا بركات الأرض قال تعالى:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ج١، ص٣٥٧. الدر المنثور، السيوطي: ج٦، ص٢٧٣.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١).

فلما استمروا بنكران الإمام علي عليه السلام هلكوا في التيه فوقع السيف فيما بينهم وهجموا على عثمان بن عفان وقتلوه في عقر داره؛ فتفرقوا تفريقا.

ولما عكفوا وعزموا على حرب صاحب الولاية بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تمزقوا كل ممزق.

فلما تخلوا عن نصرة السبط المجتبى عليه السلام وتركوه لدى الهيجاء وأنياب أهل البغاء فألجأوه إلى المهادنة والصلح مع معاوية انقلبوا عليه يحاربونه بألسنتهم، فأصبحوا طرائق قددا.

ولم يزل أهل البغي والظلم والنفاق جادين السير في حرب أهل التقى والصلاح فتجمعوا كلهم في كربلاء لقتل ابن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

فاستحقوا جميع هذه العقوبات ولم يرضَ عنهم الولاة بدءاً من عبيد الله بن زياد وإلى قيام صاحب هذا الأمر.

﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾(٢)، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾(٣).

فتلك سنة كونية تكشف عن قانون جزائي ارتبط تنفيذه بتحقق تلك المقدمات والمسببات في كل زمان ومكان.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ٨٥.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٣.

الموضع الثاني من دعائه عند مصارع أهل بيته عليهم السلام

دعاؤه بعد استشهاد القاسم عليه السلام

قال عليه السلام:

«أللهم أحصهم عدداً ولا تغادر منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً».

مباحث الدعاء:

المبحث الأول: أسباب الدعاء والتعريف بشخصية القاسم عليه السلام

المسألة الأولى: التعريف بشخصية القاسم بن الحسن عليه السلام

هو القاسم ابن الإمام الحسن المجتبى ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمه أم ولد، واسمها رملة[1]، أخوه من أمه وأبيه عبد الله الأكبر استشهد معه في معركة الطف.

ظهر ذكر القاسم عليه السلام قبل يوم عاشوراء وخروجه للقتال واستشهاده ـ على ما ذكرته بعض المصادر ـ حينما جمع الإمام الحسين عليه السلام أخوانه وأبناء عمومته وأصحابه في ليلة العاشر فخطبهم، وقال:

«أثني على الله أحسن الثناء وأحمده في السراء والضراء، أللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين، أما بعد فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، المقرم: ص٢٧٦.

أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً، وقد أخبرني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأني سأساق إلى العراق فأنزل أرضا يقال لها عموريا وكربلا وفيها استشهد وقد قرب الموعد.

ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدا، وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حلٍ ليس عليكم مني ذمام وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعا خيرا وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم فإن القوم إنما يطلبونني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري»[١].

وتسابق القوم في إظهار مواقفهم الاستشهادية ورفضهم للتخلي عنه حتى لو قُتل أحدهم وأحيا مرات عديدة.

فقال عليه السلام:

«إني غداً أقتل وكلكم تقتلون معي ولا يبقى منكم أحد حتى القاسم وعبد الله الرضيع إلا ولدي علياً زين العابدين لأن الله لا يقطع نسلي منه وهو أبو أئمة ثمانية»[٢].

فكان اسم القاسم عليه السلام قد ظهر في هذه الليلة للدلالة على مدى الظلم والاضطهاد والوحشية التي سيمارسها الأعداء في معركة يوم العاشر من المحرم، وأن مصير الصبيان والأطفال وحتى الرضع سيكون القتل ولم تتمكن براءتهم وصغر سنهم من منع المجرمين عن الإقدام على فعلهم.

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٤، ص٥٧.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام، المقرم: ص٢٢٢.

المسألة الثانية: أسباب الدعاء

يصف المؤرخون خروج القاسم بن الحسن عليه السلام للقتال بقولهم: (وخرج القاسم وهو غلام لم يبلغ الحلم فلما نظر إليه الحسين عليه السلام اعتنقه وبكى ثم أذن له فبرز كأن وجهه شقة قمر وبيده السيف وعليه قميص وإزار وفي رجليه نعلان فمشى يضرب بسيفه فانقطع شسع نعله اليسرى وأنف ابن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يحتفي في الميدان فوقف يشد شسع نعله وهو لا يرى الحرب إلا بمثله غير مكترث بالجمع ولا مبالٍ بالألوف.

وبينما هو على هذا إذ شد عليه عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي فقال له حميد بن مسلم: وما تريد من هذا الغلام؟ يكفيك هؤلاء الذين تراهم احتوشوه، فقال: والله لأشدّنّ عليه فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف فوقع الغلام لوجهه فقال: يا عماه فأتاه الحسين كالليث الغضبان فضرب عمراً بالسيف فاتقاه بالساعد فاطنها من المرفق، فصاح صيحة عظيمة سمعه العسكر فحملت خيل ابن سعد لتستنقذه فاستقبلته بصدورها ووطئته بحوافرها فمات.

وانجلت الغبرة وإذا بالحسين عليه السلام قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والحسين يقول:

«بعداً لقوم قتلوك خصمهم يوم القيامة جدك».

ثم قال عليه السلام:

«عز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك صوت والله كثر واتره وقل ناصره».

ثم احتمله وكان صدره على صدر الحسين عليه السلام ورجلاه تخطان في الأرض فألقاه مع علي الأكبر عليه السلام[١].

وقتلى حوله من أهل بيته ورفع طرفه إلى السماء وقال:

«أللهم أحصهم عددا ولا تغادر منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً؛ صبرا يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً»[٢].

المبحث الثاني: مبحث تربوي

اجتناب الحضور في مجالس السوء

يكشف الدعاء عن مسألة تربوية في غاية من الأهمية لما يرتبط بها من آثار نفسية وأخلاقية وفي نفس الوقت كونية، وهي اجتناب الحضور في مجالس أهل المعاصي.

والعلة في ذلك هي حفظ الإنسان من التعرض للبلاء حينما ينزل بساحة هذه المجالس فتعمه البلوى وهو ما دلت عليه الأحاديث الشريفة وأظهره دعاء الإمام الحسين عليه السلام في قوله:

«أللهم أحصهم عددا ولا تغادر منهم أحدا».

---

(١) شرح الأخبار، القاضي المغربي: ج٣، ص١٧٩. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات الكبرى، ابن سعد: ص٧٤. مقتل الإمام الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ص٢٧٧ ــ ٢٧٨.

(٢) المقتل للمقرم: ص٢٧٨.

أولا: آثار المجالس التربوية

أما الأحاديث الدالة على هذه الآثار التربوية والنفسية والكونية، فهي كالآتي:

١ ــ أخرج الكليني رحمه الله عن عبد الله بن صالح، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

«لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلسا يُعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره»[١].

٢ ـ وروى أيضا عن شعيب العقرقوفي قال، سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٢]؟.

فقال:

«إنما عنى بهذا (إذا سمعتم) الرجل (الذي) يجحد الحق ويكذب به ويقع في الأئمة فقم من عنده ولا تقاعده كائنا من كان»[٣].

٣: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس مجلسا ينتقص فيه إمام أو يعاب فيه مؤمن»[٤].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: باب (مجالسة أهل المعاصي): ج٢، ص٣٧٤ إلى ٣٧٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٣) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: باب (مجالسة أهل المعاصي): ج٢، ص٣٧٤ إلى ٣٧٩.

(٤) المصدر السابق.

ثانيا: آثار مجالسة أهل المعاصي الكونية

ما رواه الكليني عن الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول:

«ما لي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟».

فقلت: إنه خالي، فقال عليه السلام:

«إنه يقول في الله قولا عظيما، يصف الله ولا يوصف، فإما جلست معه وتركتنا وإما جلست معنا وتركته؟».

فقلت: هو يقول ما شاء، أي شيء عليّ منه إذا لم أقل ما يقول؟، فقال أبو الحسن عليه السلام:

«أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعا أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً طفا من البحر فغرقا جميعا فأتى موسى عليه السلام الخبر فقال: هو في رحمة الله ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عن قارب المذنب دفاع»[(١)].

ثالثا: آثار مجالسة أهل المعاصي الاجتماعية

ما روي عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال:

«لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«المرء على دين خليله وقرينه»[(٢)].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: باب (مجالسة أهل المعاصي): ج٢، ص٣٧٤ إلى ٣٧٩.

(٢) المصدر السابق.

فهذه الأحاديث الشريفة تكشف عن العلة التي من أجلها منع المؤمن من الحضور في مجالس السوء ومجالسة أهل المعاصي، وهي تكشف في نفس الوقت عن العلة التي جعلت الإمام الحسين عليه السلام يدعو على أعدائه عند مصرع القاسم بن الحسن المجتبى بقوله عليه السلام:

«**أللهم أحصهم عدداً ولا تغادر منهم أحداً**».

فقد اشترك الجميع في هذه الجريمة وإن كان القاتل واحداً.

المبحث الثالث: مبحث نفسي

مظاهر الخوف وآثارها على قلب الطفل ونفسيته

إنّ التأمل في دعاء الإمام الحسين عليه السلام عند مصرع القاسم عليه السلام ومقارنته مع باقي أدعيته في هذا اليوم يقود الإنسان إلى التعجب والحيرة في دقت تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع تلك الانتهاكات وتعدد الجنايات واختلافها عن بعضها وإن كانت جميعها تشترك في عامل واحد وهو حرب أهل البيت عليهم السلام وقتلهم.

كما يقودنا التأمل إلى أحد مصاديق العصمة وظهورها في التعامل مع أخطر الابتلاءات التي يبتلى بها الإنسان ألا وهي العدل.

فالعدل هو المصداق الأول من مصاديق العصمة، وانكشاف العدل يكمن في القضاء وإصدار الأحكام، والإمام هنا حينما يدعو بهذا الدعاء المتضمن تحديد العقوبات، هو في الواقع يصدر حكما قضائيا وإن هذا الحكم سينفذ فيهم لكونه عليه السلام لا ترد له دعوة.

فتحديد العقاب ينبع من علم المعصوم بحجم الظلم الصادر عن هؤلاء اتجاه

أولياء الله تعالى ونوعه ؛ وهذه العقوبات الثلاث التي أصدرها المعصوم في دعائه لم تكن محض صدفة ، وان اختلافها عن بقية الأدعية الأخرى المتضمنة لمجموعة من العقوبات أيضا لم تك محض صدفة ؛ بل هي متعلقة بحسب نوع الظلم الصادر عن هؤلاء المجرمين.

وعليه :

هذه العقوبات الثلاث التي حددها الإمام الحسين عليه السلام عند مصرع القاسم عليه السلام تتعلق بحجم الظلم الذي أصاب القاسم عليه السلام.

بمعنى : كون القاسم لم يبلغ الحلم ، أي : أنه (حدث)[1] أو (صبي)[2] في المعايير الفقهية واللغوية ؛ وطفلا في المعايير الأممية المعاصرة وضوابط (اليونيسيف) ؛ فهذا يعني اشتراك جميع هؤلاء الذين تجمعوا في كربلاء بالجرم ، وإن كان القاتل واحدا.

والعلة في ذلك :

أنهم أدخلوا الذعر على قلبه ، لأن (الصبيّ) أو (الطفل) من الناحية السايكولوجية (النفسية) أول شيء يلتفت إليه ويشغله ويدخل الخوف عليه هو هذه الجموع ، وكثرة الخيل ، وصوت طبول الحرب ، واصطكاك الأسنة والسيوف فهذه الظواهر السمعية والبصرية كانت كلها أدوات للتعذيب النفسي ، وأنها أكثر ألماً في النفس البريئة من الضرب.

---

(١) حداثة السن : كناية عن الشباب وأول العمر ، تاج العروس للزبيدي : ج٣ ، ص١٨٩ـ١٩٤.

(٢) الصبيُّ : الغلامُ ، والجمع صبية وصبيان ، لسان العرب لابن منظور : ج١٤ ، ص٤٥٠.

فضلا عن أن الناظر ــ وهو الإمام الحسين عليه السلام يكون أكثر ألماً مما يعانيه القاسم عليه السلام ــ لأن إدراكه لتلك الآلام النفسية التي تصيب قلب الصبي أو (الطفل) يكون أعظم لكونه ممزوجاً بالحس الأبوي ؛ وهو أمر وجداني امتدحه القرآن الكريم في أكثر من موضع كقضية اسماعيل وفراق يوسف عليهما السلام اللذين بدت فيهما المشاعر الوالدية بأوضح صورها ، ولذلك حينما سمع استغاثته : (يا عماه أدركني) :

أجابه بقوله عليه السلام :

«عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك، صوت والله كثر واتره وقل ناصره».

بل إنّ حمله للقاسم بتلك الطريقة المفجعة حيث وضع صدره على صدره ورجلاه تخطان في الأرض ، فألقاه مع علي الأكبر عليهما السلام ، هو في الواقع لإطفاء جمرة تلك الآلام التي أصابت قلب سيد الشهداء عليه السلام قبل أن تصيب قلب الصبي فأصبحا وهما بهذه الحالة وقد كسرت الآلام صدريهما في مصاب واحد استوجب صدورها هذا الدعاء الذي اشتمل على هذه الأنواع الثلاثة من العقوبات الربانية ، فقال عليه السلام :

«أللهم أحصهم عدداً ولا تغادر منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً».

وهو يكشف عن أنهم جميعا ظالمون ومشتركون في الأذى النفسي ، فقد أدخلوا الرعب والأذى عليه وجميعهم قاتل القاسم عليه السلام.

فلزم أن يحصيهم الله عدداً ، ولا يغادر منهم أحداً من القصاص ، ولا يغفر لهم الله أبداً فيدخلهم النار خالدين فيها فليس لأحد منهم من مغفرة.

الموضع الثالث: من أدعيته عند مصارع أهل بيته عليه السلام

دعاؤه عند مصرع ولده الطفل الرضيع

قال عليه السلام:

«أللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل أللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

مباحث الدعاء:

المبحث الأول: أسباب الدعاء

من الواضح لدى القارئ والباحث في التاريخ الإسلامي أن مصرع الطفل الرضيع وقع قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بفترة زمنية محدودة، إذ كان آخر من قتل من أولاد الحسين عليه السلام وقبل خروجه ـ بأبي وأمي ـ إلى المعركة.

قال المؤرخون وأصحاب المقاتل:

(ولما قتل العباس التفت الحسين عليه السلام فلم ير أحداً ينصره ونظر إلى أهله وصحبه مجزرين كالأضاحي وهو إذ ذاك يسمع عويل الأيامى وصراخ الأطفال صاح بأعلى صوته:

«هل من ذاب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في اغاثتنا؟»[1].

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرم: ص٢٨٤.

فارتفعت أصوات النساء بالبكاء، ونهض السجاد عليه السلام يتوكأ على عصا ويجر سيفه لأنه مريض لا يستطيع الحركة فصاح الحسين عليه السلام بأم كلثوم:

«أحبسيه لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد فأرجعته إلى فراشه»[1].

ثم إنه عليه السلام أمر عياله بالسكوت وودعهم وكانت عليه جبة خز دكناء وعمامة موردة أرخى لها ذؤابتين والتحف ببردة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقلد بسيفه.

وطلب ثوبا لا يرغب فيه أحد يضعه تحت ثيابه لئلا يجرد منه فإنه مقتول مسلوب، فأتوه بتبان فلم يرغب فيه لأنه من لباس الذلة وأخذ ثوبا خلقاً وخرقه وجعله تحت ثيابه ودعا بسراويل حبرة ففزرها ولبسها لئلا يسلبها.

الرضيع عليه السلام

ودعا بولده الرضيع يودعه، فأتته زينب بابنه عبد الله وأمه الرباب فأجلسه في حجره يقبله ويقول:

«بعداً لهؤلاء القوم إذ كان جدك المصطفى خصمهم».

ثم أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه فتلقى الحسين الدم بكفه ورمى به نحوالسماء.

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: فلم تسقط منه قطرة، وفيه يقول حجة آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف:

---

(١) المصدر السابق.

«السلام على عبد الله الرضيع المرمي الصريع المتشحط دماً والمصعد بدمه إلى السماء المذبوح بالسهم في حجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي وذويه».

ثم قال الحسين عليه السلام :

«هوِّن ما نزل بي أنه بعين الله تعالى، أللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل، أللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

وسمع عليه السلام قائلا يقول: دعه يا حسين فإن له مرضعاً في الجنة. ثم نزل عن فرسه وحفر له بجفن سيفه ودفنه مرملاً بدمه وصلى عليه، ويقال وضعه مع قتلى أهل بيته)[1].

المبحث الثاني: مبحث عقائدي

قال عليه السلام :

«أللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح»[2].

إن التأمل في دعاء الإمام الحسين عليه السلام يكشف عن حقائق عديدة ارتبط بعضها بشخصه الأقدس وبعضها ارتبط بالمستقبل وبعضها بالسنن الكونية والتربوية لاسيما في التربية الأخلاقية.

---

(١) مقاتل الطالبين للاصفهاني: ص٦٠. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣، ص٢٥٧. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٢٥، ص٤٧. مقتل الإمام الحسين عليه السلام، للمقرم: ص٣٠٩.

(٢) المصدر السابق.

المسألة الأولى: الحكمة في المقارنة بين ابتلاء نبي الله صالح والإمام الحسين عليه السلام

يمتاز المقطع الأول من دعاء الإمام الحسين عند استشهاد ولده الرضيع عليهما السلام بالاتجاه إلى المناجاة أكثر مما يتجه نحو الدعاء على عدوّه، فضلاً عن أن هذا المقطع يحمل سؤالاً مناجاتياً سرعان ما يجيب عليه الإمام الحسين عليه السلام مع بيانٍ تفصيلي في ثنايا الجواب.

«أللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح»؟.

سؤال فحواه (العتاب) كما ينصرف إليه ذهني القاصر، لكن سرعان ما يبدده جواب الإمام الحسين عليه السلام:

«إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه».

بمعنى: لا يمكن أن يكون قتل عبد الله الرضيع أهون عند الله تعالى من عقر ناقة صالح التي غضب الله تعالى لأجلها على أمة كاملة فأهلكهم مع ما شيتهم ودوابهم.

على الرغم من أن العقر وقع للناقة وليس لفصيلها، وأن هذا الفصيل قد هرب عند وقوع الجريمة والتجأ إلى الصخرة التي خرج منها مع أمه كما دلت عليه الرواية الآتية التي تكشف جانباً من وجه المقارنة بين ابتلاء نبي الله صالح والإمام الحسين عليه السلام مع بيان الحكمة في حبس نزول نقمة الله تعالى عند قتل عبد الله الرضيع عليه السلام.

روى الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[1].

قال عليه السلام:

«هذا بما كذبوا صالحا وما أهلك الله عزوجل قوما قط حتى يبعث إليهم قبل ذلك الرسل عليهم فبعث الله إليهم صالحا فدعاهم إلى الله فلم يجيبوا وعتوا عليه وقالوا: لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء وكانت الصخرة يعظمونها ويعبدونها ويذبحون عندها في رأس كل سنة ويجتمعون عندها فقالوا له: إن كنت كما تزعم نبيا رسولا فادع لنا إلهك حتى تخرج لنا من هذه الصخرة الصماء ناقة عشراء، فأخرجها الله كما طلبوا منه.

ثم أوحى الله تبارك وتعالى إليه أن يا صالح قل لهم: إن الله قد جعل لهذه الناقة من الماء شرب يوم ولكم شرب يوم وكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت الماء ذلك اليوم فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلا شرب من لبنها في يومهم ذلك فإذا كان الليل وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم ولم تشرب الناقة ذلك اليوم فمكثوا بذلك ما شاء الله.

ثم إنهم عتوا على الله ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا: اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها، لا نرضى أن يكون لنا شرب يوم ولها شرب يوم، ثم قالوا من الذي يلي قتلها ونجعل له جعلا ما أحب، فجاءهم رجل أحمر، أشقر، أزرق ولد زنى لا يعرف له أب يقال له: قدار، شقي من الأشقياء مشؤوم عليهم

---

(١) سورة القمر، الآية: ٢٣.

فجعلوا له جعلا فلما توجهت الناقة إلى الماء الذي كانت ترده تركها حتى شربت الماء وأقبلت راجعة فقعد لها في طريقها فضربها بالسيف ضربة فلم تعمل شيئا فضربها ضربة أخرى فقتلها وخرت إلى الأرض على جنبها وهرب فصيلها حتى صعد إلى الجبل فرغى ثلاث مرات إلى السماء وأقبل قوم صالح فلم يبق أحد منهم إلا شركه في ضربته واقتسموا لحمها فيما بينهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا أكل منها فلما رأى ذلك صالح أقبل إليهم فقال: يا قوم ما دعاكم إلى ما صنعتم أعصيتم ربكم.

فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام أن قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثتها إليهم حجة عليهم ولم يكن عليهم فيها ضرر وكان لهم منها أعظم المنفعة فقل لهم: إني مرسل عليكم عذابي إلى ثلاثة أيام فإن هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددت عنهم وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث.

فأتاهم صالح عليه السلام فقال يا قوم إني رسول ربكم إليكم وهو يقول لكم: إن أنتم تبتم ورجعتم واستغفرتم غفرت لكم وتبت عليكم، فلما قال لهم ذلك كانوا أعتى ما كانوا وأخبث وقالوا:

﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[١].

قال: يا قوم إنكم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فما أن كان أول يوم أصبحوا ووجوههم

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٧.

مصفرة فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: لا نسمع قول صالح ولا نقبل قوله وإن كان عظيما.

فلما كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرة فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: لو أهلكنا جميعا ما سمعنا قول صالح ولا تركنا آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها ولم يتوبوا ولم يرجعوا.

فلما كان اليوم الثالث أصبحوا ووجوههم مسودة فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: يا قوم أتاكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح فلما كان نصف الليل أتاهم جبرئيل عليه السلام فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصرخة أسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم وقد كانوا في تلك الثلاثة الأيام قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا أن العذاب نازل بهم فماتوا أجمعون في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق لهم ناعقة ولا راغية ولا شيء إلا أهلكه الله فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى أجمعين ثم أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم أجمعين وكانت هذه قصتهم»[1].

والرواية تدل على ما يلي:

١ـ إن قوم صالح كفروا بنعمة الله تعالى التي تمثلت بالناقة تسقيهم جميعاً وتغذيهم إلا أن الطمع والاحتكار والبطر دفعهم إلى التفكير في قتل الناقة مع كونها لم تضر أحداً منهم.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج٨، ص١٨٧ إلى ١٨٩.

٢ــ إن الـذين خرجـوا لقتـال ابـن بنـت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم كـانوا قـد شـابهوا قـوم صـالح في دوافعهـم الإجراميـة المتمخـضة عـن مجموعـة مـن الرذائـل الأخلاقية كالحسد والطمع والنفاق، فنقموا بذلك على أهل البيت عليهم السلام الذين طهرهم الله من الرجس واصطفاهم على خلقه وجعلهم من نسل الأنبياء عليهم السلام وخصهم بالإمامة والخلافة والوصاية فكانوا من نعم الله العظمى ورحمته الكبرى وكيف لا؟!، وهم من سنخ رحمة الله تعالى، إلا أن الأمة لم تحفظ هذه النعمة فكفرت بها وتجرأت على الله فعدت عليها تقتلها.

٣ـ إن نبي الله صالح لم يتعدَّ ابتلاؤه سوى الاعتداء عليه بالتكذيب والجرأة في انتهاك حدود الله تعالى ممثلا بعقر الناقة فنالوا تلك العقوبة العظيمة بينما كان ابتلاء الإمام الحسين عليه السلام، اضعاف ما ابتلي به نبي الله صالح عليه السلام فقد كذبوا حجة الله ثم عمدوا عليه يقتلون أصحابه وأهل بيته وولده وبلغت بهم الجرأة على الله أن ذبحوا طفله الرضيع وهو في حجره؛ وهذا كله لا يقاس بابتلاء نبي الله صالح والاعتداء على حدود الله تعالى التي شرعها في قوم صالح عليه السلام ممثلا ذلك في حفظ الناقة وفصيلها التي كانت لا تتعدى عن كونها موضع ابتلاء ومحكاً لمعرفة النفوس، وليميِّز الله تعالى الخبيث من الطيب، ولذا فقتلها كان انتهاكا لحرمة نبي الله صالح.

وعليه:

١ـ لا يظن الظان مهما اختلفت ثقافته وتوجهاته وقراءاته أن قتل عبد الله الرضيع وهو ابن بنت خير خلق الله وأشرف الأنبياء والمرسلين أهون حرمة عند الله

تعالى من قتل ناقة نبي الله صالح عليه السلام لعدم نزول نقمة الله تعالى وعذابه على أولئك المجرمين في يوم عاشوراء.

٢ـ إنّ الحكمة في حبس هذه النقمة وتأخيرها هو لاختيار الإمام الحسين عليه السلام لثواب الآخرة على ظهور العقوبة العاجلة في يوم عاشوراء.

قال عليه السلام :

«واجعل ماحل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل».

ومما يدل عليه :

خروج فاطمة بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى مسجد أبيها خلف علي بن أبي طالب عليهما السلام حينما أخرجوه عنوة لبيعة أبي بكر، فخشيت (سلام الله عليها) أن يقتلوه أن لم يبايع، وهو ما دلت عليه الرواية التي رواها ابن شهر آشوب عن كتاب اختيار الرجال لأبي جعفر الطوسي، عن أبي عبد الله عليه السلام، وعن سلمان الفارسي: (أنه لما استخرج أمير المؤمنين عليه السلام خرجت فاطمة حتى انتهت إلى القبر ـ قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقالت:

«خلوا عن ابن عمي فو الله الذي بعث محمداً بالحق، لئن لم تخلوا عنه لأنشرنّ شعري ولأضعن قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رأسي ولاصرخن إلى الله تعالى فما ناقة صالح بأكرم على الله من ولدي».

قال سلمان: فرأيت والله أساس حيطان المسجد تقلعت من أسفلها حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ، فدنوت منها وقلت: يا سيدتي ومولاتي، إن الله

تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة، فرجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا)[١].

والرواية كاشفة عن نزول سخط الله تعالى وعذابه على أهل المدينة إلى تلك الدرجة التي دلت عليها الرواية في ارتفاع حيطان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى أن تحقق نزول العذاب كان متوقفاً على إتمام دعوة فاطمة وإمضائها، بل إن قولها (لأنشرن شعري) كناية عن هتك الحرمة، فما كشف رأسها بأقل حرمة عند الله تعالى من قتل الإمام علي عليه السلام أو أن حرمة قتل علي عليه السلام هو كشف لسترها وهتك لحرمتها، ولذا: تحقق نزول العذاب إلى هذا الحد في حين كانت المهلة التي أعطيت لقوم صالح ثلاثة أيام لعلهم عن غيهم وجرمهم يعودون وإلى ربهم يتوبون.

٢ـ استشهاد الإمام الهادي عليه السلام بما نزل بقوم صالح عليه السلام حينما أقدم المتوكل العباسي على التعرض إليه وانتهاك حرمته وظلمه، كما دلت عليه الرواية التي أخرجها ابن حمزة الطوسي، عن الحسن بن محمد بن جمهور، قال: (كان لي صديق مؤدب فقال لي: قال لي الأمير منصرفه من دار الخليفة: حبس أمير المؤمنين هذا الذي يقولون ـ له ـ ابن الرضا اليوم، ودفعه إلى علي بن كركر ــ السجان ــ فسمعته يقول:

«أنا أكرم على الله من ناقة صالح، تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب».

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ج٣، ص٢٨٩. خاتمة المستدرك: ج٣، ص٢٨٩. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٢٨. ص٢٠٦.

وليس يفصح بالآية ولا بالكلام، أي شيء هذا؟.

قال: قلت أعزك الله توعد، أنظر ما يكون بعد ثلاثة أيام.

فلما كان من الغد أطلقه واعتذر إليه فلما كان في اليوم الثالث وثب عليه يباغز، ويغلون، وتامش، وجماعة معهم فقتلوه وأقعدوا المنتصر ولده خليفة)[١].

إذن:

١ـ الحكمة في استشهاد الإمام الحسين عليه السلام عند مصرع ولده عبد الله الرضيع بناقة صالح وفصيلها هو لتشابه المقدمات والدوافع الإجرامية لكلا الأمتين.

٢ـ تأخير العقوبة الجزائية التي حلت بقوم صالح عن هذه الأمة في يوم عاشوراء إلى وقت آخر كان السبب يعود فيه إلى صاحب الدعوة، وهو: الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام؛ وهذا يكشف عن مقام سيد الشهداء عليه السلام عند الله تعالى.

كما يدل أيضا على حكمته عليه السلام في تحديد المصلحة التي يترتب عليها تأخير العقوبة زماناً ومكاناً.

٣ـ إيراده عليه السلام لذكر فصيل الناقة مع كون الفصيل لم يقتل وإنما الذي قتل هو الناقة ـ أما فصيلها فقد هرب والتجأ إلى الصخرة ـ السبب فيه: هو أن الأذى والتلويع والترويع قد نزل بالفصيل حينما شهد قتل أمه ففجع وهرب منهم؛ بمعنى آخر: نزول نقمة الله وعذابه ارتبطت بمواقع الألم وحجم الضرر والأذى، بمعنى آخر كل شيء تجسدت فيه رحمة الله تعالى لزم حفظه وصونه وكلما تعاظمت هذه

---

(١) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي: ص٥٣٦. المناقب، ابن شهر آشوب: ج٣، ص٥١٠. مدينة المعاجز، البحراني: ج٧. ص٤٥٥.

الرحمة تعاظمت معها الحرمة والشكر عليها وحفظها وصونها.

ومن هنا كانت أعظم الحرم هي شريعة الله تعالى، أي الحكم الشرعي، ثم من قرنت طاعته ومعصيته بالله تعالى وهو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي نص عليه القرآن بكونه:

﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[١].

ثم أهل بيته الذين اختارهم الله لدينه واصطفاهم لشرعه.

ولذلك: كان فصيل ناقة صالح يحمل عنوان الحكم الشرعي الذي يجب حفظه وصونه، مع كونه تحمّل العبء الأعظم من الألم والأذى والترويع.

وهنا: كون الطفل الرضيع قد تجسدت فيه رحمة الله تعالى من خلال امتداده لنسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه يحمل عنوان الحكم الشرعي ممثلا في حفظ عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصون حرمته، وأخيراً قد شهد الترويع والألم والأذى في حبس الماء عنه ثلاثة أيام حتى جف اللبن في ثدي أمه، وتفطرت شفتاه من العطش وغارت عيناه من الألم والجوع، بل قد يبس الدمع في مقلتيه؛ ناهيك عن هجير الصحراء وسمومها وضجيج القتال وصهيل الخيل وقرع الطبول واصطكاك الأسنة فأي الآلام والآلام قد تجرعها الطفل الرضيع؟!!.

وأي ترويع وتلويع نزل بقلبه وجمّد الدم في عروقه؟!! وأي جمر ذاك الذي تحمله الحسين عليه السلام وهو يتحسس كل تلك الآلام والأوجاع والأذى الذي نزل بطفله الرضيع! وأبنائه ونسائه ونفسه المقدسة؟!!.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

المسألة الثانية: العلة في شمول العذاب قوم صالح عليه السلام مع أن العاقر واحد

جاء في الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام ـ الآنفة الذكر ـ أن العذاب شمل جميع قوم نبي الله صالح عليه السلام حتى الدواب والماشية مع أن الفاعل الذي عقر الناقة كان واحداً.

والعلة في ذلك تعود للأسباب الآتية:

١ـ كل ظلم يقع فيشهده قوم بغض النظر عن عددهم ومقاماتهم العلمية أو الاجتماعية ورضوا به أو لم يبدوا رفضهم له حتى ولو من قبيل الابتعاد عن مواطن وقوع الظلم فإنهم يشتركون في الجرم؛ وهي حقيقة نص عليها القرآن الكريم فضلا عن الأحاديث الشريفة.

١ـ قال تعالى:

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ﴾[1].

ومن هنا: ذهب بعض الفقهاء إلى (وجوب إنكار المنكر بالقلب وتحريم الرضا به ووجوب الرضا بالمعروف)[2].

٢ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده».

٣ـ وقال أيضا في خطبة يذكر فيها أصحاب الجمل:

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٥٧.

(٢) دراسات في ولاية الفقيه، المنتظري: ص٢٣٦.

«فو الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً متعمّدين لقتله، بلا جرم جره، لحل لي قتل ذلك الجيش كله إذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد، دع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم»[1].

٤ـ وعن أبي صالح الهروي، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام، قال قلت له: لأي علة أغرق الله عزّ وجلّ الدنيا كلها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له؟. فقال:

«ما كان فيهم الأطفال، لأن الله ـ عزّ وجلّ ـ أعقم أصلاب قوم نوح وأرحام نسائهم أربعين عاما فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، ما كان الله ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأما الباقون من قوم نوح فأغرقوا بتكذيبهم لنبي الله نوح عليه السلام، وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شاهد وأتاه»[2].

٥ـ وعنه، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«يأتي على الناس زمان يذوب فيه قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الآنك في النار ـ يعني الرصاص ـ وما ذاك إلا لما يرى من البلاء والأحداث في دينهم ولا يستطيعون له غيرا»[3].

٦ـ وعن أبي الصلت الهروي قال: إذا خرج القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها؟ فقال عليه السلام:

«هو كذلك».

---

(١) نهج البلاغة، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبة ١٧٢، حديث ٢٤٧.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١١، ص٤١٠، الباب ٥ من أبواب الأمر والنهي.

(٣) وسائل الشيعة: ج١١، ص٤١٠. الباب ٥، من أبواب الأمر والنهي.

فقلت: قوله الله عزّ وجلّ:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].

ما معناه؟، قال:

«صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل بالمغرب لكان الراضي عند الله عزّ وجلّ شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم»[2].

المبحث الثالث: في علم النفس العسكري

مفهوم النصر عند الإمام الحسين عليه السلام

قال عليه السلام:

«إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين».

النصر والهزيمة هما أحد النتائج التي ترافق الحروب، والحرب في المفهوم المادي جميع معطياتها تنطلق من الواقع الميداني للحرب من خلال الأمور الآتية:

١ـ عدد الجند.

٢ـ التدريب والأعداد العسكري.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٢) وسائل الشيعة: باب من أبواب (الأمر والنهي): ص٤٠٩، ح٤.

٣ ـ العقيدة القتالية والتوجيه النفسي والمعنوي.

٤ ـ العدة القتالية الجيدة والمتطورة.

٥ ـ الطبيعة الجغرافية ممثلة بالأرض التي تدور عليها المعركة وما يحيطها من تحصينات وعوائق.

٦ ـ الظروف الزمانية من الحر والبرد والليل والنهار وحركة الرياح.

٧ ـ الخبرة العسكرية لدى قادة الجند.

٨ ـ اختيار المناصب العسكرية وتوزيع المهام.

٩ ـ رسم خطة المعركة في الهجوم والدفاع وتحديد ساعة الصفر.

١٠ ـ الوسائل البديلة عند الأزمات والمباغتات؛ وغيرها من العوامل المادية التي يتركب منها مفهوم النصر العسكري[١].

لكن الإمام الحسين عليه السلام يقدم مفهوماً آخر للنصر لانطلاقه من حيثيات ومعطيات أخرى وإن كان عليه السلام قد أعد من العوامل المادية الآنفة الذكر وغيرها ما يفوق استعدادات أعدائه ولولا التجاء العدو إلى المكر وقطع الماء عنه وأهل بيته وأصحابه لكان النصر العسكري حليفهم.

لكنه هنا يتحدث عن نصر آخر لا يرتكز على تلك المعطيات المادية وإنما على مرتكز جديد غاب عن عقول أعدائه ولم يأخذوه بالحسبان، إلا وهو الله عز وجل، فالله تعالى هو الناصر وليس هذه الإمكانيات التي يغتر بها الجبابرة والظالمون والماديون.

«إلهي إن كنت حبست عنا النصر».

---

(١) الاستراتيجة العسكرية عند الإمام الحسين عليه السلام للمؤلف، مخطوط.

بمعنى: أنّ الإمام عليه السلام قد أعدّ هذه المعطيات العسكرية التي يتحقق بها النصر العسكري إلاّ أنّ الله تعالى حبسه عنه لحكمة أظهر جانباً منها الإمام عليه السلام في جوابه على السؤال الذي سأل الله به، فقال:

«فاجعله ـ أي النصر ـ لما خير منه».

وقد بيّن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام هذه الحقيقة في حرب الجمل في التوجيهات العسكرية التي كان يلقيها على ولده محمد بن الحنفية، فقال عليه السلام:

«تزول الجبال ولا تزل، عضّ على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تدْ في الأرض قدمك، إرم ببصرك أقصى القوم، غضّ بصرك، واعلم أنّ النصر من عند الله سبحانه»[١].

بمعنى آخر: يلتمس عليه السلام من الله تعالى أن يمنَّ عليه بما هو أعظم من النصر العسكري، وهو النصر الأخروي لكن في نفس الوقت يلتمس منه عزّ شأنه أن ينتقم له من الظالمين.

فأي نصر هذا الذي ظن أعداؤه بأنهم حققوه في يوم عاشوراء وقد ترتب عليه انتقام الله منهم فكان يتتبعهم بعد المعركة فرداً فرداً.

إذن: النصر عند الإمام الحسين عليه السلام لا يبنى على الظلم، فالظلم لا يحقق نصراً لأن عاقبته وخيمة ونتائجه لا تكون آنية كما حدث في يوم عاشوراء وإنما مستقبلية.

٢ ــ تحقق النصر لا يتوقف على الإمكانيات المادية فقط ــ مع أهميتها وخطورتها ـ ولكن على الله تعالى فهو إن شاء ذلك تحقق وإن لم يشأ لم يتحقق لعلمه عزّ وجلّ بما يصلح عباده.

---

(١) نهج البلاغة بشرح ابن أبي الحديد المعتزلي: ج١، ص٤٣.

٣ـ انقسام النصر إلى نصرين، نصر عسكري يستلزم الإمكانيات المادية مع حسن التوكل على الله تعالى والتوسل إليه في تحقيق ذلك.

ونصر أخروي وهو الذي تكون ثماره كونية ومتنامية فكلما يمر الوقت كلما يتحقق هذا النصر فضلا عن سعة انتشاره في الأرض وهذا الذي عناه الإمام الحسين عليه السلام وهو الذي تحقق له بعد عاشوراء.

٤ـ الخير من النصر العسكري هو ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ ويدل عليه أمران:

الأمر الأول: ما رواه الشيخ الكليني رحمه الله عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة (الثمالي) عن أبي جعفر (الباقر عليه السلام) قال:

قلت له........ قوله عز وجل:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾[1].

قال:

«إما موت في طاعة الله تعالى أو (إدراك ظهور إمام) ونحن نتربص بهم مع ما نحن فيه من الشدة أن يصيبهم الله بعذاب من عنده».

ثم قال:

«هو المسخ، أو بأيدينا وهو القتل، قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الطور، الآية: ٣١.

والتربص انتظار وقوع البلاء»[١].

الأمر الثاني: قوله عليه السلام:

«وانتقم لنا من الظالمين».

وهذا الإطلاق في الانتقام من الظالمين لا ينحصر بأولئك الذين حضروا في يوم عاشوراء وقاتلوه وإنما من جميع الظالمين الذين ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وممن رضوا بفعالهم وشايعوهم بل انعطفوا على شيعة أهل البيت عليهم السلام يقتلونهم ويشردونهم من ديارهم وينكلون بهم حتى ظهور قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فينتقم لرسول الله وأهل بيته من الظالمين.

فالأمر لا ينحصر بقتال الإمام الحسين عليه السلام وقتله، وإنما القتال مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشريعته؛ ولذلك طالما كان عليه السلام يعلن لهم انتسابه لجده صلى الله عليه وآله وسلم فيحتج عليهم بشبهه للمصطفى ومشابهة أبنائه ليؤكد للبشرية أن الحرب في يوم عاشوراء كانت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والسعي في القضاء عليه في قطع ذريته وطمس شريعته التي أدخلوا فيها البدع وغيروا شرعتها التي شرعها الله لهم.

ولذا نراه يدعو الله تعالى بظلامة قتل طفله الرضيع الذي يشبه حبيبه محمداً المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فيقول:

«أللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

---

(١) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج٨، ص٢٨٧، ح٤٣١.



الفصل التاسع:

مواضع أدعيته عند قتاله

ومصرعه عليه السلام

احترت كثيرا حينما وصلت إلى هذا الفصل المفجع لا أدري أأوفق في التأمل والبحث أم لا؟

والسبب في ذلك يعود إلى أمور:

١ـ لأني أرى نفسي قد صرت على المحك مع الفجائع والرزايا العاشورائية.

٢ـ ولأن الحديث أصبح الآن يدور عن شخص الإمام الحسين عليه السلام لا عن إفاضاته النورانية المتدفقة من معين كلماته.

٣ـ لاختلاف الأدعية هذه المرة عن ما مرّ سابقا فقد تدرج الإمام في سلم الدعاء إلى الله تعالى ليصل بنا إلى رتبة المناجاة الملكوتية في آخر أدعيته وهو ما ارتعدت له فرائصي وتملك الخوف قلبي فبدا عاجزاً عن نيل الفيوضات الحسينية حيث الخطاب الآن من الحبيب إلى حبيب حيث الحجاب المستور عن الأنس والجن والحور.

لكنني ما زلت أطرق باب فضله والتمس المزيد من لطفه فقد عودني سيدي على كرمه والجلوس في أفنية محفله وأنا أنظر إليه كيف يغترف لهذا فيغدقه بجوده وكيف يحسن إلى ذاك فيغرقه بكرمه.

٤ـ خوفاً من التقصير في البيان أو التغافل عن بديهيات الجنان فيحط قدري عند إمام الإنس والجان، لكن سأمضي في تكملة ما بقي من الكتاب فبالله أستعين وعليه أتوكل ولفضله ومنّه ألتمس.

الموضع الأول: دعاؤه في مركز قتاله

وكان يكثر من قول:

«لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم».

مسائل البحث في الدعاء:

المسألة الأولى: أسلوبه في القتال

استخدم الإمام الحسين عليه السلام أسلوبا خاصا في قتاله يوم عاشوراء اعتمد فيه على مهاجمة أجنحة الجيش، أي ميمنته وميسرته، ثم الرجوع إلى موضع خاص حدده بنفسه قبل بدئه القتال، وهو ما عبر عنه أصحاب المقاتل بـ(المركز)[1] ويراد به النقطة التي حددها الإمام الحسين عليه السلام للانطلاق في الهجوم ثم العودة إليها.

والحكمة في ذلك تكمن في أمور، منها:

١ـ كي لا يحاط به أثناء القتال من كل جانب فيباغت من الخلف.

٢ـ لكي يجعل مساحة مفتوحة في حركته وتنقله بين الميمنة والميسرة والقلب وهي المراكز الثلاثة التي كانت العرب تستخدمها في نظام جيوشها وحروبها.

٣ـ تمكنه من السيطرة على كتائب الفرسان والرجالة حينما جعل مركزه الذي يقاتل منه بين الخندق ومواجهة العدو من وجهة واحدة.

٤ـ كي لا يستدرجه العدو إلى خارج ساحة المعركة ثم يغزون حرمه وعياله.

٥ـ كي لا تفقد أخواته وبناته رؤيته أثناء القتال أو سماع صوته فيتعاظم عليهم البلاء والخوف، وهذا أمر انحصر في شخص الإمام الحسين عليه السلام وهو يكشف عن مروءته وغيرته ورحمته ورأفته بعياله.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٢٩١.

المسألة الثانية: أسباب الدعاء

روى أصحاب المقاتل: حينما رجع الإمام الحسين عليه السلام من حملته الأولى قاصداً عياله فانشغل بهم بين مصبرٍ ومطمئنٍ ومودع ـ نادى عمر بن سعد في عسكره ـ قائلا: (ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولا بنفسه وحرمه والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم)، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالف السهام بين أطناب المخيم وشك سهم بعض أزر النساء فدهشن وأرعبن وصحن ودخلن الخيمة ينظرن إلى الحسين كيف يصنع، فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه فقتله، والسهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدره ونحره؛ ورجع إلى مركزه يكثر من قول:

«لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم».

المسألة الثالثة: من أسرار قول (لا حول ولا قوة إلا باللّه العظيم)

يمكن لنا الوقوف عند أسرار قول (لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم) من خلال الأحاديث الشريفة الآتية:

١ـ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم كنز من كنوز الجنة»[١].

٢ـ من وصية لأمير المؤمنين علي عليه السلام أوصى بها كميل بن زياد النخعي، أنه قال:

«يا كميل قل عند كل شدة (لا حول ولا قوة إلا بالله) تُكفَها»[٢].

---

(١) المجموع، محي الدين النووي: ج٣، ص١١٨.

(٢) تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ص١٧٤.

وفي رواية أخرى:

«وإذا أصابتك شدة فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله»[(١)].

٣ـ روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«وإذا أردت الخروج من منزلك فقل: بسم الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، توكلت على الله فإنك إذا قلت هكذا، نادى ملك: في قولك بسم الله، هديت أيها العبد وفي قولك: لا حول ولا قوة إلا بالله، وقيت، وفي قولك: توكلت على الله، كفيت.

فيقول الشيطان حينئذ: كيف لي بعبد هدي ووقي وكفي»[(٢)].

٤ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«باكروا بالصدقة فإن البلايا لا تتخطاها، وعليك بالبر وصلة الرحم، فإنهما يزيدان في العمر، ويهونان الحساب وعليك بقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن من قالها فقد فوض أمره إلى الله وحق على الله أن يكفيه»[(٣)].

٥ـ عن الصادق عليه السلام، أنه قال:

«شكا آدم عليه السلام إلى الله حديث النفس فنزل عليه جبرائيل فقال: قل، لا حول ولا قوة إلا بالله»[(٤)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فقه الرضا عليه السلام لابن بابويه: ص٣٩٨.

(٣) المقنع، الشيخ الصدوق: ص٢٩٧.

(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٩٢، ص١٦٧.

٦ـ وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«من قال في كل يوم مائة مرة لا حول ولا قوة إلا بالله دفع الله بها من سبعين نوعاً من البلاء أيسرها الهم»[١].

٧ـ قال أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أنعم الله تعالى عليه نعمة فليحمد الله تعالى ومن استبطأ عليه الرزق فليستغفر الله، ومن حزنه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

٨ـ وروى البرقي عن الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنّ حملة العرش لما ذهبوا ينهضون بالعرش لم يستقبلوه فألهمهم الله تعالى (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فنهضوا به»[٣].

وهذه الأحاديث تكشف عن بعض أسرار قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) التي كان يكثر منها الإمام الحسين عليه السلام أثناء قتاله الأعداء.

فقد تكون للكفاية من الشدة، أو للتفريج من الهموم، أو لكشف الحزن، أو لتفويض الأمر إلى الله تعالى، أو لدفع أنواع البلاء، أو للنهوض بما كلف به الإمام الحسين عليه السلام كما نهضت ملائكة العرش بحمله، أو لكونها من كنوز الجنة التي لا يُدرى ما فيها، فصلوات الله عليه حين ولد وحين استشهد وحين يبعث حيا.

---

(١) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق رحمه الله: ص١٦٣.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق رحمه الله: ج١، ص٥٠.

(٣) المحاسن البرقي: ج١، ص٤١.

الموضع الثاني: من أدعيته عند قتاله ومصرعه

حينما طلب أن يسقوه ماءً

قال عليه السلام في دعائه على من تجرأ عليه بالكلام حينما طلب منهم أن يسقوه ماءً:

«أللهم أمته عطشا».

مسائل البحث في الدعاء:

المسألة الأولى: أسباب الدعاء

حينما رجع عليه السلام من حملته إلى مركزه وهو يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم طلب في هذه الحال ماءً؟.

فقال الشمر: لا تذوقه حتى ترد النار وناداه رجل: يا حسين ألا ترى الفرات كأنه بطون الحيات؟ فلا تشرب منه حتى تموت عطشاً فقال الحسين عليه السلام:

«أللهم أمته عطشا».

المسألة الثانية: تحقق الأثر الغيبي الآني في دعائه عليه السلام

قد مرّ في الفصل السابع من الكتاب بيان تحقق الأثر الغيبي بشكل مفصل، وهنا يظهر تحقق الأثر الغيبي في دعائه عليه السلام بشكل آني (فكان هذا الرجل يقول: اسقوني ماءً فيؤتى بماء فيشرب حتى يخرج من فيه وهو يقول: اسقوني قتلني العطش، فلم يزل حتى مات ـ لعنه الله ـ)[1].

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني: ص٧٨. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٢٥، ص٥٢. العوالم للبحراني: ص٢٩٤.

الموضع الثالث: من أدعيته عليه السلام عند قتاله

حينما رماه أبو الحتوف بسهم

قال عليه السلام:

«أللهم إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة، أللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً».

مسائل البحث في الدعاء:

المبحث الأول: أسباب الدعاء

يظهر من خلال النصوص التاريخية: أن الأعداء حينما رأوا تلك الفنون القتالية التي أظهرها الإمام الحسين عليه السلام في قتاله لهم عمدوا إلى توجيه ضربات سريعة ومتتالية له عليه السلام ومن كل الجهات لاسيما بعد ملاحظتهم لرجوعه إلى مركزه الذي يكر منه ويعود إليه.

قال ابن شهر آشوب:

(وجعل يقاتل حتى قتل منهم ألفاً وتسعمائة وخمسين سوى المجروحين، فقال عمر بن سعد لقومه: الويل لكم أتدرون من تبارزون!؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب فاحملوا عليه من كل جانب، فحملوا بالطعن مائة وثمانين ـ رجلاً ـ وبالسهام أربعة آلاف ـ رجلا ـ[1]، ثم كفوا عن القتال.

فقال شمر ــ لعنه الله ــ: ما وقوفكم وما تنتظرون بالرجل وقد أثخنته

(١) المناقب، ابن شهر آشوب: ج٣، ص٢٥٨.

السهام؟ احملوا عليه ثكلتكم أمهاتكم فحملوا عليه من كل مكان، فرماه أبو الحتوف الجعفري ـ لعنه الله ـ بسهم[١]، فوقع في جبهته فنزعه وسالت الدماء على وجهه، فقال:

«أللهم إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة أللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً».

فـ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[٢].

المبحث الثاني: تنزيه النفس من الغرض الشخصي وأثره في التربية الاجتماعية

«أللهم إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة»

إن القراءة الأولى لمطلع الدعاء تكشف عن إنّ الإمام الحسين عليه السلام يقدم خطاباً تربوياً معنوناً على فئة خاصة محدودة من المجتمع، وهم القادة والمسؤولين، فيضع فيه السبل التي تؤدي إلى فهم دورهم القيادي وحدود هذا المنصب وما يترتب عليه من حقوق شخصية واجتماعية في حال وجود المعارض لهم.

كما تكشف هذه القراءة عن أن الإمام ينطلق من منطلق القائد والراعي والإمام المفروض الطاعة على جميع الخلق في خطابه مع الله تعالى، فهذا الموقع الرعوّي دفع الإمام الحسين عليه السلام إلى إرجاع هؤلاء القوم إلى الأصل في منحه لهذه

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

الرعويّة ليدركوا أنه لم يتقلد هذا المنصب القيادي عن طريق الانتخابات السياسية أو الفئوية الاجتماعية، ولا عن طريق الزعامة القبلية الموروثة؛ وإنما هو منصب وضعته فيه شريعة الله تعالى.

بمعنى: أن الله تعالى هو الذي نصبه في هذا الموضع ولذا توجه إليه (عزّ شأنه) بقوله:

«عبادك العصاة».

وحيث إن الإمام الحسين عليه السلام هو في قمة الهرم الرعوي لعباد الله تعالى لكونه حجته على خلقه فقد أرجع أمر التعرض إليه وانتهاك حرمته وإيذائه حتى الإدماء إلى الله تعالى، إذ الاعتداء على مقامه الرعوي اعتداء على الشريعة التي وضعته في هذا المقام، ولذا قال لربه:

«عبادك».

لكنهم عصاة، أي إيكال أمر العقوبة والقصاص إلى الله تعالى.

وهو درس تربوي ينبغي بالقادة والمسؤولين أن يستوعبوه ويحرصوا على تطبيقه ممثلا في تنزيه أنفسهم من الغرض الشخصي حينما يتعرضون للانتقادات أو الرفض والمعارضة، فهؤلاء المعارضون لهم، هم عباد الله ولا يتحولون إلى عبيد ورقيق مملوكين للقادة عند مخالفتهم لقادتهم.

فمثلما أوكل الإمام الحسين الرعية إلى خالقها حين انتهكت حرمة مقامه الشرعي كذلك يحتاج القادة والمسؤولون إلى تعلم هذا الدرس فيوكلون الأمر إلى القانون بصفته هو الذي وضعهم في هذا الموضع.

المبحث الثالث: مبحث اجتماعي

أثر العقوبة في تقويم سلوك الفرد والمجتمع

من المناهج التربوية التي وضعها أهل البيت عليهم السلام في علم السلوك هو منهج العقوبة أو المعاقبة على المخالفات والانتهاكات التي يقوم بها الفرد كوحدة مستقلة داخل المجتمع أو كمجموعة من الأفراد أو كأمة كاملة أجمعت على أمر واحد.

وهذا المنهج التقويمي للسلوك قد نص عليه القرآن وأظهرته الآيات في معرض بيانها للسنن التاريخية التي سلكتها الأمم السالفة.

ففي حدوث السلوك المنحرف على المستوى الفردي كوحدة مستقلة يظهر لنا القرآن ذلك في عاقر الناقة ثم يُظهر آثار هذا السلوك المنحرف على سلوك المجتمع وآثاره عليهم فيشركهم جميعا في الاستحقاق الجزائي بما اقترف عاقر الناقة فينسب العقر إلى الأمة والمجتمع فيقول عز من قائل:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[١].

فعاقبهم الله جميعا من أجل أن تعطي هذه العقوبة آثارها في بناء المجتمعات اللاحقة لمجتمع نبي الله صالح وتؤمن بجدوى استخدام العقوبة على سلوكيات الأفراد والمجتمعات، فيحسن سلوكهم.

أما في بيان القرآن للآثار السلوكية للمجاميع الفردية الذي يتخذ السير المنحرف فيعرض القرآن هذا النهج في سلوك أخوة يوسف عليه السلام، وآثار هذا

(١) سورة الشمس، الآية: ١٤.

السلوك على الوضع الاقتصادي للأسرة، مما اضطرهم للخروج إلى مصر طلبا للحنطة، وحرصاً منهم على الزيادة.

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾[١].

وفي بيانه للسلوك المنضبط والقويم يحدثنا القرآن عن أصحاب الكهف وبيان آثاره عليهم في الدنيا والآخرة.

وفي دور العقوبة في تقويم السلوك الأممي فالأمثال التي جاء بها القرآن الكريم كثيرة كقومِ نوح وقوم لوط وقوم موسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام.

ومن هنا: ينطلق المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام من الوحي القرآني في تصحيح السلوك الفردي أو الجماعي أو الأممي. قال تعالى:

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾[٢].

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٣].

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٤].

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٥].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

(٥) سورة النحل، الآيات: ٤٥، ٤٦.

وتظهر الآيات الآثار السلوكية للأمن من العقوبة في هلاك المجتمعات وسرعة انحدارها وسقوطها في الانحراف والرذيلة.

فهذه المجتمعات لو استشعرت الخوف من العقوبة وأنها قريبة الوقوع بها لامتنعت من ارتكاب الآثام واقتراف المساوئ ولتقوّم سلوكها، إلا أن تأخير العقوبة الإلهية لكونه عزّ وجلّ رؤوفاً رحيماً، دفع بالمجتمعات إلى استصحاب حالة الأمن من نزول العقوبة، فظلوا على أصنامهم عاكفين.

وهذا النهج التربوي قد دل عليه أئمة العترة النبوية عليهم السلام وأظهروا دوره الإرشادي للتربويين والقادة وأرباب الأسر ورعاة التجمعات الشبابية وغيرها.

قال الإمام علي بن الحسين عليهما السلام:

«فاحذروا ما حذركم الله بما فعل بالظلمة في كتابه ولا تأمنوا أن ينزل بكم بعض ما تواعد به القوم الظالمين في الكتاب، والله لقد وعظكم الله في كتابه بغيركم فإن السعيد من وعظ بغيره، لقد أسمعكم الله في كتابه ما قد فعل بالقوم الظالمين من أهل القرى قبلكم حيث قال:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾.

وإنما عنى بالقرية أهلها حيث يقول:

﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾[1].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١١.

فقال عزّوجلّ:

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾[١].

يعني يهربون، قال:

﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾[٢].

فلما أتاهم العذاب:

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾[٣].

وأيم الله إن هذه عظة لكم وتخويف إن اتعظتم وخفتم»[٤].

واستخدام منهاج العقوبة في تقويم السلوك لدى الفرد والمجتمع هو ما تضمنه دعاء الإمام الحسين عليه السلام في قوله:

«**أللهم أحصهم عددا، واقتلهم بدداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً**».

وقد ذكرنا في الفصل السابق في دعائه عليه السلام عند استشهاد القاسم بن الحسن المجتبى عليه السلام بيان المراد في قوله عليه السلام:

«**أللهم أحصهم عدداً**».

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ١٤، ١٥.

(٤) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج٨، ص٧٤.

وهو إشارة إلى اشتراك الجميع في هذا الجرم وأنهم يستحقون جميعا العقوبة.

بمعنى: أنّ الإمام الحسين عليه السلام قدم الاستحقاق الجزائي لهؤلاء على نوع العقوبة التي سينالها الجميع والتي تتكون من ثلاثة أنواع من العقاب.

أولا: القتل البددي، أي الفردي وليس الجماعي كما كان يحدث لكثيرٍ من الأمم السالفة التي غضب الله تعالى عليها فعاقبها بالهلاك والموت الجماعي في آن واحد كالخسف والطوفان والصيحة وغيرها ـ والعياذ بالله ـ، وهذا ما تم لهم في خروج المختار الثقفي وما تبعها من حروب ضربت مجتمع الكوفة.

ثانيا: ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً، أي: لا تُبقِ على وجه الأرض منهم أحداً؛ وتلك الدعوة ذكرها القرآن الكريم وبين العلة فيها من خلال دعاء نبي الله نوح عليه السلام.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1].

إذاً وجه عدم بقائهم على الأرض أمران:

١ـ لكونهم يضلون عباد الله تعالى.

٢ـ لمستوى تدنّيهم وانحطاطهم في الرذيلة فلن يلدوا من الأبناء إلا الفاجر الكافر وهو قانون كوني وسنة اجتماعية تكشف عن دور الجينة الوراثية ودور التنشئة الاجتماعية في تحديد سلوك الانسان في الحياة.

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٦، ٢٧.

ولقد شهد التاريخ على بيان تحقق هذه الدعوة ونفوذ آثارها الغيبية التي تنطق بلسان فصيح عن تتبع السنّة الإلهية لهؤلاء فلم تبق منهم أحداً بعد عاشوراء؛ بل يكشف التاريخ عن حقيقة سريان هذه الدعوة جنباً إلى جنب فيما حدده الإمام الحسين من القتل البددي ـ أي الفردي ـ مع عدم بقاء أحدٍ منهم.

فقد ذكر أصحاب التاريخ بعض الأحاديث التي تدل على هذه الحقيقة:

١ـ روى القاضي النعمان المغربي عن عبد الرزاق، قال قلت لمعمر: أخبرني أبي، أنه قال: ما نجى أحد ممن قتل الحسين عليه السلام من القتل فمات حتى رمي بداء في جسده. فقال: صدقت قد سمعت هذا الحديث من غير واحد)[1].

٢ـ عن الصلت بن الوليد قال: تذاكرنا يوما ونحن في مجلس، أنه لم يفلت ممن شرك في قتل الحسين عليه السلام أحد إلا قتل أو أصابته عقوبة.

فقال رجل ـ ممن كان في المجلس ـ قد شهدت قتل الحسين وما أصابني شيء أكرهه إلى اليوم.

فما قام من المجلس حتى مر غلام بيده مجمرة فيها النار فطارت منها شرارة، فتعلقت بثياب الرجل، وهبت ريح، فاضرمتها ناراً فاحترقت، ومات مكانه)[2].

٣ـ روى الشيخ الطوسي قدس سره في أماليه عن محمد بن سليمان قال:

حدثني عمي، قال: لما خفنا أيام الحجاج، خرج نفر منا من الكوفة مستترين، وخرجت معهم فصرنا إلى كربلاء، وليس بها موضع نسكنه، فبينينا كوخاً على

---

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج٣، ص١٦٠.

(٢) المصدر السابق: ج٣، ص١٧٢.

شاطئ الفرات وقلنا نأوي إليه، فبينا نحن فيه إذ جاءنا رجل غريب فقال: أصير معكم في هذا الكوخ الليلة فإني عابر سبيل فأجبناه وقلنا غريب منقطع به.

فلما غربت الشمس وأظلم الليل أشعلنا، فكنا نشعل بالنفط، ثم جلسنا نتذاكر أمر الحسين بن علي عليهما السلام ومصيبته وقتله ومن تولاه، فقلنا: ما بقي أحد من قتلة الحسين إلا رماه الله ببلية في بدنه.

فقال ذلك الرجل: فأنا كنت فيمن قتله، والله ما أصابني سوء، له، وإنكم يا قوم تكذبون؟

فأمسكنا عنه، وقل ضوء النفط، فقام ذلك الرجل ليصلح الفتيلة بإصبعه، فأخذت النار كفه، فخرج ونادى حتى ألقى نفسه في الفرات يتغوص به، فو الله لقد رأيناه يدخل رأسه في الماء والنار على وجه الماء، فإذا أخرج رأسه سرت النار إليه فتغوصه إلى الماء، ثم يخرجه فتعود إليه، فلم يزل ذلك دأبه حتى هلك)[1].

ثالثا: عدم المغفرة، ويعني الخلود في النار، كما يعني: استحالة صلاحهم، بل كلما امتد بهم العمر كلما ازدادوا ظلما وطغيانا وكفرا. قال تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[2].

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي رحمه الله: ص١٦٣. المناقب لابن شهر آشوب: ج٣، ص٢١٧. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٤٥، ص٣٠٧.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٢٧و٢٨.

المبحث الرابع: مبحث في علم السلوك

أثر هذه العقوبات الثلاث في تقويم السلوك الإنساني

في قانون العقوبات الجزائية يتم أولاً بيان نوع الجرم الذي وقع مع بيان آثاره الجسدية والنفسية والاجتماعية والمادية على الإنسان والمجتمع.

وهنا يحدد الإمام الحسين عليه السلام قبل إصدار هذه العقوبات الجزائية نوع الجرم الذي اقترفه هؤلاء الجناة.

وهو: (ضرب الإمام الحسين عليه السلام حد الإدماء).

ولذا: لابد من الالتفات أولا إلى أن المجني عليه محاطٌ بهالة من الحصانة القرآنية، فحرمته سنخ حرمة القرآن الكريم، بعلة كينونته الكفلية، أي أن أهل بيت النبوة كفل القرآن، وعدله، وثقله، كما نص عليه حديث الثقلين.

وهذه الجريمة احتاجت إلى عقوبة جزائية تتناسب مع حجمها كي تؤدي غرضها الإصلاحي والسلوكي في المجتمع، وإلا سوف ينهار المجتمع المسلم وتتهاوى من بعده الأجيال اللاحقة بفعل نجاة المجرمين من العقوبة وتملك النفس شعور الأمن من الجزاء فيهون عليه الجرم، فضلا عن استحسانه لينتهي بهم الانحراف إلى فعل القتل وكل فعل قبيح.

وهو ما دل عليه القرآن في محكم آياته الكريمة، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٠٠.

وكذا حال الأجيال التي جاءت بعد واقعة الطف فلو لم يعاقب أولئك المجرمون لكان حال من يخلفهم أعظم جرما وأكبر انتهاكا.

وتلك حقيقة بينها الإمام الحسين في يوم عاشوراء فضلا عن البيان القرآني، بعد أن تعرض للضرب حد الإدماء، فصاح بصوت عال:

«يا أمة السوء بئسما خلفتم محمداً ﷺ في عترته، أما إنكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون قتله بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بالشهادة ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون»[(١)].

فقال الحصين: وبماذا ينتقم لك منا يا ابن فاطمة؟.

قال:

«يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم ثم يصب عليكم العذاب صباً»[(٢)].

وهذا البيان لنوع العقوبات التي سينالها أولئك الجناة المجرمون؛ له من الآثار السلوكية الكبيرة على المجتمعات المعاصرة للواقعة، و الأجيال اللاحقة مما يؤدي إلى تحقق الغرض الإصلاحي والتربوي للناس؛ كما يدل هذا البيان على حكمة الإمام الحسين عليه السلام ومعرفته بما يصلح الناس ويقوّم لهم سلوكهم بواسطة العقوبة، ضمن منهاج حدوه بآليات ثلاث تتضح آثارها الإصلاحية والتقويمية في المجتمع، وهي الآتية ذكرها:

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٤٥، ص٥٢.

(٢) العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ عبد الله البحراني: ص٢٩٤.

أولا: آثار العقوبة الأولى على السلوك

فأما آثار العقوبة الأولى على السلوك الفردي والجماعي فيظهر من إشراكهم جميعاً في الجرم وإن كان الرامي بالسهم رجلاً واحداً وهو أبو الحتوف، وهذا الأمر له آثار نفسية كبيرة؛ إذ قد يتوهم الكثيرون ممن حضر المعركة أن لا علاقة له بما يحدث فهو لم يرمي بسهم ولم يطعن برمح؛ أو أنه قد أخرج عنوة أو فرض عليه ذلك، وغيرها من التبريرات للتملص من الذنب.

في حين يعد إشراكهم جميعاً بهذا الجرم أمراً عظيماً على النفس لاسيما عند النظر إلى العقوبة التي سينالها الجميع وهي القتل، وهلاك ذراريهم وأزواجهم كي لا يلدوا ولا يمتد نسلهم؛ مع عدم المغفرة لهم أبداً وهو الخلود في النار.

فهذه الأنواع الثلاثة من العقوبات حينما تسمعها الأجيال اللاحقة ستدرك معنى أن يشترك الإنسان مع مجموعة ظالمة ومنحرفة تعيث في الأرض الفساد؛ كما أنها ستوقن أن ليس هناك ما يعد جرماً صغيراً وآخر كبيراً؛ أو أن أحدهم يلتمس لنفسه التبريرات في الإقدام والانضمام إلى هذه المجاميع الضالة، فضلا عن آثار ذلك على تفكير الإنسان قبل أن يقدم على أمرٍ وإن كان بشكل فردي.

ثانيا: آثار العقوبة الثانية على السلوك

يتدرج الإمام الحسين عليه السلام في بيان الاستحقاق الجزائي لهؤلاء في توسيع دائرة العقوبة فبعد تلبس الجميع بالاستحقاق الجزائي وما يترتب عليه من عقوبة نفسية ينتقل عليه السلام إلى بيان نوع العقوبة التي سينالها الجميع وهي القتل البددي،

أي: القتل واحداً واحداً؛ بمعنى لا تكون عقوبة القتل جماعية كما حدث للأمم السالفة في اقترافها العديد من الجرائم في حق الأنبياء وانتهاك حرمتهم التي هي سنخ حرمة الله تعالى.

كما أن هذه العقوبة الجماعية يمكن لنا ملاحظتها في الوقت المعاصر عند معاقبة القادة العسكريين والحكام لحالات التمرد والخيانات والانقلابات مع ملاحظة الفارق فانتهاك حرمة الأنبياء عليهم السلام التي لا يمكن أن تقاس بحرمة السلاطين والحكام والملوك؛ فالحصانة هناك حصانة ربانية وهنا حصانة دنيوية لا تتركز سوى على حفظ نظام الحكم والمملكة وبقاء الأمير أو الحاكم فترة أكبر في الحكم؛ بمعنى أنّ الحصانة الأولى دائمة وآثارها كونية والثانية متغيرة بتغير المواقع والأشخاص.

والقتل البددي، أي الفردي له آثار نفسية واجتماعية متعددة، فأما الآثار النفسية لهذه العقوبة فيمكن ملاحظتها من خلال النقاط التالية:

ألف: الأثار النفسية لعقوبة القتل البددي

١ . إنّ جميع هؤلاء الذين سمعوا دعاء الإمام الحسين عليه السلام سوف يقتلون وإن طال بهم الوقت مما يجعل السامع في حالة مستمرة من الخوف والحذر والترقب.

٢ . إنّ الجاني حينما يصدر بحقه القتل الفردي ويخلى سبيله فلا يوضع في الحجز كما هو حال الإجراءات القضائية يجعل الجاني يفكر في اللجوء إلى ملجأ يحتمي فيه وهذا في العقوبة الدنيوية كأن يهرب الجاني إلى بلد آخر أو يبذل المال لتغيير العقوبة أو غيرها من الأساليب.

لكن الجاني هنا: إلى أين سيلتجئ والمعاقب الله تعالى فكيف سيهرب منه؟ وبمن يستعين؟ ومن سيشفع له؟ والشافع هو الخصم في الدنيا والآخرة.

لابد أن ترد القيامة فاطم	وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه	والصور في يوم القيامة ينفخ[(١)]

فالشعور بأن الشافع الذي يأمل فيه الجاني والمذنب النظر في ذنبه فيشفع له عند الله تعالى فيشفّع فيه فينال نجاته سيكون مفقوداً أو أنه هو الخصم الذي سيخاصمه عند الله تعالى، فهذا شعور نفسي هو بحد ذاته يكون قاتلاً للمذنب، بل أشد من حز المواسى وطعن الرماح على الجاني.

باء: الأثار الاجتماعية لعقوبة القتل البددي

وأما آثارها الاجتماعية فيمكن ملاحظتها فيما يلي:

١ . لكونهم اجتمعوا على أمرٍ واحد وهو قتل ابن بنت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم لا يجتمعون على أمرٍ بعده، فما زالوا في فرقة وتشتت بسبب مطاردة العقوبة لهم وملازمة الشعور بوقوعها عليهم في كل لحظة مما يدفع بهم إلى التشرذم والتفرق في البلاد.

٢ . إن كل فرد من أولئك الجناة سوف يسيطر عليه شعورٌ خاص بضرورة عدم الاجتماع مع تلك الجماعة الضالة، لتملك النفس شعور البغض لهذه المجموعة التي كانت السبب في وقوعه في هذه الرذيلة فينعكس ذلك إيجابيا على سلوك الفرد من خلال الابتعاد عن هذه المجاميع مما يؤدي إلى تقليص دورها وتمزقها.

---

(١) نظم الدرر السمطين، الزرندي الحنفي: ص٢١٩.

٣ . لو قتل أولئك الجناة بشكل جماعي فإن الإحساس بالذنب سوف يتلاشى في المجتمع بعد فترة وجيزة من الزمن ؛ ولكن إذا كان هناك تفاوت في إنزال العقوبة زمنيا فهذا يدفع إلى تجدد الإحساس بأمرين :

أ ـ ترقب وقوع العقوبة.

ب ـ استمرار الإحساس بالذنب.

وهذا يدفع إلى عبرة من لم يعتبر.

ثالثا: آثار العقوبة الثالثة على السلوك

أما الآثار التي ترتبت على العقوبة الثالثة فهي تتركز ـ كما مرّ سابقاً ـ على قطع النسل مما يؤدي إلى حفظ سلوك المجتمعات من خلال حفظها من أولاد الحرام والفجار، أي تحصين المجتمع من عوامل الانحراف والتردي.

فهؤلاء لا يلدون إلا الفجار والكفار، أي: استئصال الداء من جذوره فهذا أجدى في صلاح المجتمعات وأقوم لسلوكها من إبقاء تلك الجراثيم ثم محاولة السيطرة عليها أو حجرها ومنع انتشار أضرارها أو الاعتقاد بصلاحها.

فهنا :

يظهر الإمام الحسين عليه السلام حقيقة النفس البشرية حينما تصل إلى هذا المستوى من التردي والانحراف الذي تستسيغ فيه قتل أبناء الأنبياء عليهم السلام أن لا مجال لإصلاحها بل على العكس تصبح نواة لتكاثر الشر والدمار.

الموضع الرابع: من أدعيته عند قالته ومصرع

حينما أصابه سهم له ثلاث شعب

قال عليه السلام:

«**بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**».

ورفع رأسه إلى السماء وقال:

«**إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره**»[1].

مسائل البحث في الدعاء:

المسألة الأولى: أسباب الدعاء

ذكر أصحاب المقاتل والمؤرخون: أن الإمام الحسين عليه السلام (لما ضعف عن القتال وقف يستريح فرماه رجل بحجر على جبهته فسال الدم على وجهه فأخذ الثوب ليمسح الدم عن عينيه، رماه آخر بسهم محدد له ثلاث شعب وقع على قلبه، فقال:

«**بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله**».

ورفع رأسه إلى السماء وقال:

«**إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره**».

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٤٥، ص٥٣. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للشيخ البحراني: ص٢٩٥. إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد السماوي: ص٣٧.

ثم أخرج السهم من قفاه وانبعث الدم كالميزاب فوضع يده تحت الجرح فلما امتلأت رمى به نحو السماء وقال:

«هوِّن عليّ ما نزل بي أنه بعين الله».

فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض!.

ثم وضعها ثانياً فلما امتلأت لطخ به رأسه ووجهه ولحيته وقال:

«هكذا أكون حتى ألقى الله وجدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا مخضب بدمي وأقول: يا جدي قتلني فلان وفلان»[1].

المسألة الثانية: ظهور التجليات الحسينية

إن التأمل في دعاء الإمام الحسين عليه السلام يقودنا إلى رؤية بعض التجليات الحسينية التي ظهرت في كلماته الأولى التي ابتدأ بها دعاءه عليه السلام، فقال:

«بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

والتي تكشف عن أن الإمام الحسين عليه السلام يعلن الآن عن حجم هذه الإصابة التي أصابته فهي قاتلة وأنه دخل مرحلة الانتقال من هذه الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة.

إلا أن هذا الانتقال ليس تهيّؤاً أو ظناً بسبب شدة نزف الجرح الذي وصفته الرواية بـ(فانبعث الدم كالميزاب) وإنما هو في الحقيقة قد انتقل في هذه اللحظات إلى البرزخ الملكوتي؛ قد دخل إلى عالم الأمر الإلهي؛ إلى روضة من رياض الجنة حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٥، ص٥٣. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني: ص٢٩٥.

ولذا نراه بدأ بقراءة الاستئذان للدخول إلى ساحة العظمة والجلالة قائلا:

«**بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**».

كلمات هي مفتاح الدخول إلى رحمة واسعة:

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وهي حقيقة كشفتها الروايات الشريفة وهي تشير إلى علة ذكر تلك الكلمات الاستئذانية للدخول إلى برزخ الآخرة حينما ينزّل الميت في قبره.

فعن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«**إذا نزلت في قبر فقل: (بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) ثم تسل الميت سلا...**»[2].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«**إذا سللت الميت فقل: (بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، أللهم إلى رحمتك لا إلى عذابك**»[3].

ولأن الإمام الحسين عليه السلام بسبب هذه الإصابة سينقل إلى روضته التي أعدها الله تعالى في البرزخ، فقد بدأ بالاستئذان للدخول وهو أشبه ما يكون في هذه الحياة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام)، الحر العاملي: باب (استحباب الدعاء للميت)، ج٣، ص١٨٠.

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام)، الحر العاملي: باب (استحباب قراءة الحمد)، ج٣، ص١٧٤.

الدنيا حال دخول المؤمن لزيارة الروضات المقدسة للأئمة المعصومين عليهم السلام يبدأ في قراءة الاستئذان قائلا :

«بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

ومن هنا :

بدأ ظهور التجليات في كلماته فقد انتقل الإمام الحسين عليه السلام من بيان مقامه ومنزلته وانتهاك حرمته وحرمة أهل بيته في الدعوات السابقة لينتقل الآن إلى المناجاة بعد هذه المرحلة التي تتناسب مع المقام الذي حل فيه صلوات الله وسلامه عليه ، فقد بدأ حديث الحبيب إلى حبيبه.

فأول ما يبدأ به الإمام الحسين عليه السلام بعد هذا الاستئذان من مفردات لفظية أنه قال : (إلهي) ليعود بها إلى المقام الذي ينطلق منه عمود التوحيد حيث النعيم بفيوضات العبودية لخالق السماوات والأرض.

ثم يتبعها بقوله :

«إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره».

يبدأ ـ بأبي وأمي ـ بالشكوى وهي حالة وجدانية تنبع من فطرة الإنسان حينما يتعرض للظلم والقهر ، وهو يلقى من يحب ومن يعتقد بأنه العون والملجأ والناصر والمعاقب والدافع عنه ما نزل به من الظلم ؛ فيبدأ بالشكوى (إلهي) مفردة تحمل في حركة أحرفها ومباني دلالاتها وصرح معانيها ما لا يعلمه إلا من خرجت من فمه وجراحه تشخب دما.

ربما نحن ـ وأقصد بها نفسي ـ حينما نتلفظ بها لا تتعدى عن كونها تدل على الإقرار بالوحدانية والتفويض للخالق والتسليم لأمره وقضائه ؛ أما مراتب هذا الإقرار ومنازل هذا التفويض ودرجات هذا التسليم فيتفاوت فيها المؤمنون مع تفاوت منازل البلاء ودرجاته وشدته ومقدار الثبات وصدق الإخلاص في دوران العبودية والتفويض والتسليم لله قلبا وعقلا وجوارحَ.

وهي ما انفرد بها سيد الشهداء من بين أولياء الله تعالى فقال :

«**هوّن عليّ ما نزل بي أنه بعين الله تعالى**».

وهل الذي نزل به يمكن أن ينزل بأحد من الخلق مع ملاحظة منزلته ومقامه عند الله تعالى.

سؤال : كان جوابه منقوشاً في السماء حينما مطرت دماً وحزناً وبكاء عليه[١].

وجواب هذا السؤال منقوش على كل شجر وحجر ، فما من حجر حرك يوم عاشوراء إلا وقد وجد تحته دم عبيط[٢].

إذن : يبدأ الآن بعد هذا الدخول إلى برزخه الذي أعده الله تعالى له بالشكوى لما نزل به من الظلم والقهر وهو مستهظم أن تنتهك حرمته فقال :

«**إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيره**».

---

(١) نظم درر السمطين ، الزرندي الحنفي : ص٢٢١. كامل الزيارات ، ابن قولوية : ص١٨٨. تاريخ دمشق ، ابن عساكر : ج١٤ ، ص٢٧٧.

(٢) دلائل الإمامة ، ابن جرير الطبري : ص١٧٨. نظم درر السمطين ، الزرندي الحنفي : ص٢٢١.

المسألة الثالثة: الإمام الحسين عليه السلام يشكو إلى الله أعظم الظلامات، هتك حرمة فاطمة

إن من التجليات الحسينية التي ظهرت في دعائه هذا وهو قد بدأ بالاستئذان للدخول إلى روضته البرزخية حيث جده وأبوه وأمه وأخوه ينتظرون قدومه إليهم، أي يلتجئ في شكواه إلى ربه.

فيبدأ بذكر أعظم الظلامات وهي هتك حرمة فاطمة عليها السلام وهو أمر عظيم، إذ لم يقدم أمر نفسه ولا أمر أهل بيته على تعدد مصائبهم وعظيم رزاياهم كل ذلك لم يكن حاضرا في شكواه إلى ربه وإنما جمعها كلها بحرمة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها، فلو لم تنتهك بالأمس حرمتها ولم تضرب ويكسر جنبها ويحرق دارها[1]، لما جرى اليوم على أرض الطف دمه ودم عياله، ولو وجدت فاطمة من المهاجرين والأنصار ناصراً لما رأى الإمام الحسين عليه السلام من الناس تخاذلاً.

ولذلك:

يطالب بمعاقبة المؤسس الأول لهذا الظلم الذي نزل بفاطمة وذريتها عليهم السلام ومن تبعه على ذلك، فقتل ولدها وهو ما دل عليه قوله:

«ابن بنت نبي غيره».

---

(١) انظر في تحريق بيت فاطمة عليها السلام واقتحامه: تاريخ الطبري: ج٢، ص٤٤٣. تاريخ ابي الفداء: ج٢، ص٦٤. العقد الفريد لابن عبد ربه: ج٤، ص٢٥٤. الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١، ص١٢. أعلام النساء لعمر رضا كحالة: ج٤، ص١١٤. تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١١. الفتوح لابن أعثم: ج١، ص١٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٢، ص٦٥. وركبت السفينة لمروان خلفيات: ص٢٢٧.

الموضع الخامس: أدعيته عند قتاله ومصرعه

دعاؤه على مالك بن النسر

قال عليه السلام في دعائه على مالك بن النسر:

«لا أكلت بيمينك ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين».

مسائل البحث في الدعاء:

المسألة الأولى: أسباب الدعاء

قال أصحاب المقاتل: (وأعياه نزف الدم فجلس على الأرض ينوء برقبته فانتهى إليه في هذا الحال مالك بن النسر ـ لعنه الله ـ فشتمه ثم ضربه بالسيف على رأسه وكان عليه برنس فامتلأ البرنس دماً فقال الحسين عليه السلام:

«لا أكلت بيمينك ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين»

ثم ألقى البرنس[1] واعتم على القلنسوة)[2].

المسألة الثانية: مراتب الظالمين في القرآن الكريم

إن من المسائل البدهية أن يكون جميع الذين اشتركوا في قتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الظالمين، فما هي الخصوصية التي اختص بها هذا الظالم (مالك بن النسر) فاستحق أن يعاقب بعقوبة خاصة فيحشره الله مع الظالمين، وهذا يدل على أن الظالمين يتفاوتون في العقاب يوم القيامة، فكيف هي مراتبهم؟.

---

(١) البرنس، بالضم كبرسن، قلنسوة كان العباد يلبسونها في صدر الإسلام من البرس بكسر الباء وهو القطن والنون زائدة، وقيل أنه غير عربي، مجمع البحرين، للطريحي: ج٤، ص٥٢.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله: ج٢، ص١١٠. ينابيع المودة: ج٣، ص٨٢.

سؤال استوقفني وجال في خاطري فالتجأت إلى كتاب الله تعالى ملتمسا فضله في نزول ألطاف عترة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

يعرض القرآن الكريم مراتب الظالمين واستحقاقهم الجزائي في الدنيا والآخرة ضمن صور عديدة منها:

أولاً: التعريف بهم

يعرّف القرآن الكريم الظالمين في جملة من الآيات الكريمة كي يمكن تشخيصهم في الحياة الدنيا فلا يتعامل المؤمن الفطن معهم ولا يخالطهم؛ وهذه الصفات كالآتي:

١ـ إنهم يتعدون حدود الله تعالى، قال عزّ وجلّ:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[١].

٢ـ إنهم هم الكافرون، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٢].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

٣ـ إنهم يفترون على الله الكذب، حيث قال سبحانه وتعالى:

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١).

٤ـ إنهم لم يحكموا بما أنزل الله تعالى، لقوله عزّ وجلّ:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٢).

٥ـ إنهم يتولون الكفار، لقوله عزّ وجلّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٣).

٦ـ يتهمون الأنبياء عليهم السلام بالسحر، قال تعالى:

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾(٤).

٧ـ إنهم يأبون إلا الكفر، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٧.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٩٩.

٨ ـ إنهم يشركون بالله تعالى، قال عزّ وجلّ:

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١).

٩ـ إنهم لا يقبلون بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حكم بينهم، قال تعالى:

﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٢).

١٠ـ إنهم يجحدون بآيات الله تعالى، قال سبحانه:

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٣).

هذه الصفات العشر التي بيّنها القرآن تكشف عن طبيعة نفوس الظالمين وسلوكياتهم في الحياة، وقد يجتمع في بعض الناس أكثر من صفة في آن واحد فيتضاعف بذلك سوء أعماله وعاقبته التي لم يتركها القرآن دون بيان للناس وللظالمين، كذلك كي يبقى أولو الألباب في مأمن من نتائج هذه السلوكيات في الحياة الدنيا والآخرة، فكانت كالآتي:

١ـ إن الظالمين لا يفلحون أبداً مهما عملوا ومكروا وأوتوا من قوة، لقوله تعالى:

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٦٤، ٦٥.

(٢) سورة النور، الآيات: ٤٨، ٤٩، ٥٠

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[1].

٢ـ إن الظالمين كتب الله عليهم الهلاك، قال عزّ وجلّ:

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[2].

٣ـ إنهم في ضلال مبين، لقوله تعالى:

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3].

ثانيا: حالهم عند الموت

أما حالهم في الاحتضار عند الموت فهو أسوأ حالٍ وأشد العذابٍ لقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٧.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

ثالثاً: حالهم في الآخرة

أما حالهم في الآخرة فهو حال تكشفه الآيات الكريمة التي حددت وقوفهم في المحشر وهو الذي أشار إليه دعاء الإمام الحسين عليه السلام في دعائه على مالك بن النسر. الحال الأول الذي عليه الظالمون في المحشر جاء في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[1].

والحال الثاني لهم في المحشر جاء في قوله عز وجل:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٤٢، ٤٣.

(٢) سورة سبأ، الآيات: ٣١، ٣٢، ٣٣.

إذن: حال الظالمين في الدنيا بيّنته الآيات الكريمة أما عقابهم في الآخرة فيمكن معرفته من خلال المسألة القادمة.

المسألة الثالثة: تفاوت درجات العقاب الجزائي للظالمين

يظهر من دعاء الإمام الحسين عليه السلام على مالك بن النسر ــ لعنه الله ــ أنّ الظالمين يتفاوتون في درجات العقاب في الدنيا والآخرة، ذلك أن التفاوت في العقاب يعود إلى تفاوت الظلم، ونوعه وبمن نزل فالرامي بسهم غير الطاعن برمح، وهما غير الضارب بالسيف وإن كانوا جميعاً ظالمين ومجرمين.

ويبدو أن العلة في دعائه على مالك بن النسر بعقوبة خاصة انفرد بها عن الجميع عائد إلى ثلاثة أمور:

أولا: لأن الإمام الحسين عليه السلام أصبح الآن جريحاً وقد أعياه نزف الدم لدرجة أنه لم يقوَ على الوقوف ولذلك جلس ــ بأبي وأمي ــ وهذا الضعف الذي نزل به يستلزم الكف عنه ولو من قبيل الإنسانية إلا أن الحال ينطق عن أن هؤلاء القوم مسوخ بشرية لا تربطهم روابط بالحياة الإنسانية سوى المشابهة الصورية.

ثانيا: أن هذه الضربة ربما تكون قد أثرت على بصره فلم يتمكن من النظر ولعل ما أشار إليه النيسابوري في الروضة بقوله: (استدعى قلنسوة أخرى فلبسها واعتم عليها، ونظر يمينا وشمالا لا يرى أحداً فرفع رأسه إلى السماء فقال:

«أللهم إنك ترى ما يصنع بولد نبيك»)[1].

---

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ص١٨٩.

هو إشارة إلى فقد بصره إما بسبب هذه الضربة أو بسبب نزف الدماء الذي أحدثه الجرح فسالت الدماء على عينيه فحالت بينه وبين رؤياهم وإلا لا يمكن أن يكونوا قد ابتعدوا وهم بالألوف عنه مسافة بعيدة بحيث لم يعد يرى أحداً؛ فضلا عن أن الحاجة إلى النظر يمينا وشمالا بعد أن يصاب الإنسان بضربة على رأسه تكون حالة ملازمة للإنسان فكيف إذا كانت بالسيف وقد قطعت القلنسوة التي تعمل من الحديد لتقي الرأس في المعركة فتصل إلى رأسه الشريف فتدميه إلى الحد الذي يمتلئ البرنس بالدم فيلقيه ويلبس غيره.

ثالثا: يكشف عن جانب خاص بشخصه الطاهر، فهو صورة وجدانية قل نظيرها بين أولياء الله تعالى إن لم تكن فريدة، وذلك أن الإمام على كثرة ما نزل به من الإصابات إلا أنه لم تكن عينه لتغيب عن مراقبة أطفاله وأخواته وقد أحاط بهم الظالمون المجرمون من كل جهة، فهو بين النظر إلى أعدائه وقتاله لهم وبين النظر إلى أطفاله وخوفه عليهم؛ فكانت هذه الضربة قد افقدته النظر إلى أطفاله، فأصبح لا يعلم ما يجري عليهم.

بمعنى: أن الألم في عدم التمكن من النظر إلى عياله كان أعظم على قلب الإمام الحسين عليه السلام من الألم الذي سببه السيف؛ وإلاّ لم يكن هذا السيف بأعظم من السهم المحدد ذي الثلاث شعب الذي وقع على قلبه فخرج من قفاه ولذلك: دعا عليه السلام على مالك بن النسر بهذه الدعوة التي اشتملت على عقوبتين، الأولى دنيوية تنفذ في يديه التي لم يأكل بهما ولم يشرب وعقوبة أخروية شملت الحشر مع الظالمين.

المسألة الرابعة: تحقق الأثر الغيبي في دعاء الإمام الحسين عليه السلام على مالك بن النسر الكندي

إنّ من المواضع التي ظهر فيها تحقق الأثر الغيبي في دعاء الإمام الحسين عليه السلام هو هذا الموضع والذي شمل تنفيذ العقوبة الدنيوية في قوله عليه السلام :

«لا أكلت بيمينك ولا شربت».

وتشير الروايات التاريخية إلى أن (مالك بن النسر قد يبست يداه ولم يزل فقيرا بأسوأ حال إلى أن مات)[1].

وهذا يعني أن يديه قد تحولتا إلى أشبه ما يكون بالخشبة اليابسة، أي قد تقرن الجلد فلم يستطع معها الحركة وهذا أمضى في الألم فيما لو أن يديه قد شلتا، أي تعطل فيها العصب عن أداء وظيفته فلم يتمكن من تحريكهما.

ولم يتوقف نفوذ الأثر الغيبي في دعاء الإمام إلى هذا الحد، بل أشارت الرواية التاريخية :

(أن المختار بن أبي عبيد الثقفي ألقى القبض على مالك بن النسر فقطع يديه ورجليه وتركه يضطرب حتى مات)[2].

وهذا يكشف عن تضاعف نتائج العقوبة الدنيوية من حرمانه من الأكل والشرب بيده ويبسهما الذي هو كناية عن تقرن الجلد إلى حد اليبوسة التي يعجز معها الظالم من القيام بأي حركة فضلا عن آلامها المبرحة ثم ابتلائه بالبؤس حتى ينتهي به الأمر إلى قطع يديه ورجليه.

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد تحقيقات باقر العلوم: ص٦٠٦.

(٢) لواعج الأشجان، محسن الأمين: ص١٨٧.

الموضع السادس: من أدعيته عليه السلام عند مصرعه

حينما ذبح في حجره عبد اللّه بن الإمام الحسن عليهما السلام

قال عليه السلام :

«أللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم تفريقا واجعلهم طرائق قدداً ولا ترض الولاة عنهم أبداً فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا»[1].

مسائل البحث في الدعاء :

المسألة الأولى: أسباب الدعاء

قال أصحاب المقاتل : (ثم إنهم لبثوا هنيئة بعد خروج مالك بن النسر وضربه للإمام الحسين عليه السلام بالسيف على رأسه فعادوا إليه وأحاطوا به وهو جالس على الأرض لا يستطيع النهوض فنظر عبد الله بن الحسن السبط عليهما السلام وله إحدى عشرة سنة إلى عمه وقد أحدق به القوم فأقبل يشتد نحو عمه وأرادت زينب حبسه فأفلتت منها وجاء إلى عمه.

وأهوى بحر بن كعب بالسيف ليضرب الحسين فصاح الغلام : يا ابن الخبيثة أتضرب عمي؟ ـ فحول بحر بن كعب الضربة إلى الغلام فضربه واتقاها الغلام بيده فأطنها إلى الجلد فإذا هي معلقة فصاح الغلام :

يا عماه!.

ووقع في حجر الحسين عليه السلام فضمه إليه وقال :

---

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام ، السيد المقرم : ص٢٩٤.

«يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله تعالى يلحقك بآبائك الصالحين».

ورفع يديه قائلا:

«أللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم تفريقا واجعلهم طرائق قدداً ولا ترض الولاة عنهم أبداً فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلونا».

ورمى الغلام حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه وهو في حجر عمه)[1].

المسألة الثانية: الحكمة في تأخير العقوبة الإلهية للعصاة

قال عليه السلام:

«أللهم إن متعتهم إلى حين».

من المسائل التي تستوقف الإنسان هي علة تأخير العقوبة الإلهية للعصاة في مواطن كثيرة وأزمان مختلفة؟!، حسبما ورد في الكتاب العزيز عند ذكره لحال الأمم السابقة.

وحيث أن القرآن الكريم لم يدع المسألة هكذا مبهمة دون أن يُظهر لها بياناً واضحاً وكاشفاً عن العلة في التأخير أو الحكمة في التأجيل إلى الوقت المعلوم لديه سبحانه، فإننا يمكن لنا أن نقف عند هذا البيان من خلال النقاط الآتية:

أولا: لغرض دوام الحياة على الأرض وحفظ الأنواع والسلالات لجميع المخلوقات، قال تعالى:

---

(١) البحار للمجلسي: ج٤٥، ص٥٤. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني: ص٢٩٦. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص١٨٨. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٦١١.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴾[1].

ثانيا: لأن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة والمغفرة فإنه لا يعجل بالعقوبة وإنما يؤخرها إلى موعد لن يخلفوه؛ قال تعالى:

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾[2].

بمعنى يريد الله تبارك اسمه من المذنبين أن يعودوا إلى رشدهم فيتوبوا إلى ربهم فيغفر لهم لا لشيء وإنما لأنه ذو الرحمة، ولذلك قدم المغفرة على الرحمة، فقال:

﴿ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾.

إلا أن هناك ذنوباً لا تشملها مغفرة الله تعالى كالشرك وقتل الأنبياء وإيذاء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[3].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

فمثل هذه الآثام لا تنالها المغفرة لأنها دخلت ضمن عنوان اللعن الذي هو الطرد من رحمة الله تعالى، بل يشير القرآن الكريم إلى وجود حالة من التلازم بين اللعن وحلول غضب الله عزّ وجلّ؛ بمعنى: أن هناك بعض الذنوب ـ والعياذ بالله ـ تخرج من دائرة اللعن إلى دائرة غضب الله الموجب لنزول نقمته عزّ شأنه كما في قتل الأنبياء أو التعرض إليهم بالأذى كما في قصة قوم لوط، وصالح، ونوح، وموسى حينما اتخذوا العجل.

قال تعالى:

﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ

---

(١) سورة القصص، الآيات: ٤٠، ٤١، ٤٢.

(٢) سورة هود، الآيات: ٥٩، ٦٠.

مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[١].

بل إننا لنجد القرآن الكريم يشير إلى صدور اللعن من جهات أخرى غير الله تعالى كالملائكة والناس أجمعين ؛ وهذا كاشف عن اختلاف آثار الذنوب وفسادها وأضرارها على الحياة.

قال عزّ وجلّ :

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٢].

وهؤلاء الذين خرجوا لقتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوم كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والدلالات والحجج ولاسيما في يوم عاشوراء إلا أنهم ضلوا وكفروا وفجعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتل ولده وانتهاك حرمته فحلت عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وهذا يستلزم نزول نقمة الله تعالى عليهم جميعا في يوم عاشوراء كما هو حال الأمم السابقة حينما اقترفت ظلم الأولياء وقتل الأنبياء وتكذيب المرسلين، فعجل الله لهم العذاب.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ٨٦، ٨٧.

بينما نجد أن الله تعالى لم يعجل لهؤلاء الظلمة بالعذاب على الرغم من استحقاقهم لذلك، فما هي العلة في ذلك؟!.

سؤال يجيب عليه الإمام الحسين عليه السلام في دعائه:

«**اللهم إن متعتهم إلى حين**».

فليكن بقاؤهم نقمة عليهم ووبالاً حتى يتمنى أحدهم أنه قد هلك قبل هذا اليوم، لما سينزل به من العذاب والنقمة الإلهية التي بينها الإمام في ثلاث عقوبات.

١ـ ففرقهم تفريقا.

٢ـ واجعلهم طرائق قددا.

٣ـ ولا ترض الولاة عنهم أبداً.

وهذه العقوبات الثلاث ترتكز على البنية الاجتماعية التي تكون منها المجتمع الكوفي بشكل خاص والمجتمع الإسلامي ـ آنذاك ـ بشكل عام؛ وهو ما سيتم بيانه في المسألة الآتية:

مبحث اجتماعي: نظريته عليه السلام في انهيار الروابط الاجتماعية كوسيلة عقابية تقتضي الإصلاح

يرتبط الفرد مع أبناء جنسه داخل المجتمع بروابط عديدة تحفظ دوام تعايشه وتآلفه، وحفظ نوعه وبناء حياته الكريمة.

والرابطة الاجتماعية: (هي العلاقة التي تربط أفراد المجتمع وتشكل منطقه وفلسفته، وتختلف في طبيعتها من مجتمع لآخر، وقد كانت هذه العلاقة محل اختلاف الفلاسفة والمدارس الفكرية والأنساق الأيدلوجية المختلفة من حيث

تكييفها في الواقع وتصورها في المثال المنشود كما اختلفت تلك الرابطة في الشرائع المختلفة بحسب رسالة كل أمة ومنهج كل كتاب بحسب العصر وطبيعة القوم ومحيطهم الحضاري)[1].

وحينما يبدأ الفرد بالتحلل من هذه الروابط يتحول إلى إنسان عدواني ومنحرف في سلوكه لدرجة يصبح فيها مجرماً ويأنس بآلام الناس ويلتذ ببؤسهم.

هذا الحال ترجم إلى واقع عملي في ساحة الطف يوم العاشر من المحرم؛ فهؤلاء تحللوا من جميع الروابط الاجتماعية التي تربط الفرد السوي مع مجتمعه المتحضر وأصبحوا يتجمعون ضمن نظام واحد هو السلوك العدائي والإجرامي.

وحيث أن المجتمع مرهون بوجود هذه الروابط الاجتماعية فإن انفكاك الفرد عنها يؤدي إلى تمزق النسيج الاجتماعي ثم انهيار المجتمع فيما لو أصبحت الحالة عامة.

من هنا:

يحدد الإمام الحسين عليه السلام ثلاثة أعمدة تنطلق منها الروابط الاجتماعية التي تشد أبناء المجتمع مع بعضهم فيأمنون التفكك والانهيار المجتمعاتي ولا يتحولون إلى مجاميع عدوانية السلوك والطبيعة، كما هو حال هؤلاء الذين تجمعوا لقتله وانتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وهي كالآتي:

---

(١) معجم علم الاجتماع، د. عدنان أبو مصلح: ص٢٦١.

العمود الأول: المدرور المعائشي

يعد التبادل المعائشي، أو (التبادل الاقتصادي) من أهم الروابط التي تربط الفرد مع المجموعة ثم مع (المجتمع) فكم من مجتمعات صغيرة كانت أو كبيرة انهارت بسبب الاختلال في الروابط المعائشية (الاقتصادية) وتحولت إلى مجاميع صغيرة.

بل إننا لنجد هذا العمود الاجتماعي يبرز كعنصر هدام أو بنّاء في داخل الأسرة فيما بين افرادها أو ضمن المحلة أو الحارة الصغيرة حتى ولو من عشرة منازل فيفترقون أو يتقاربون بسبب التبادل الاقتصادي أو المعائشي كما أسماه سيد الشهداء حينما عرض للإنسانية حقيقة دور التبادل الاقتصادي في تكون المجتمعات، فيقول:

«الدين لعق على ألسنة الناس يديرونه ما دارت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»[1].

ولذلك:

يلجأ عليه السلام في دعائه على الظالمين إلى إزالة العمود الأول الذي تجمع من حوله هؤلاء فارتبطوا مع بعضهم بالرباط المعائشي، أي أن تكون صراعاتهم فيما بينهم بسبب انهيار المصلحة الاقتصادية والمعائشية التي تضمن لهم البقاء والاستمرارية في الحياة وتحولها إلى أطماع متبادلة تولد الحقد والنفور فيما بينهم فيتفرقون، وهو ما تضمنه قوله عليه السلام:

«ففرقهم تفريقا».

---

(١) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي: ص١٠٢. كشف الغمة لابن أبي الفتح الأربلي: ج٢، ص٢٤٢. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٧٥، ص١١٧، ح١.

العمود الثاني: القيم

ينتقل الإمام الحسين عليه السلام في بيانه لأنواع العقوبات التي سينالها هؤلاء الظالمون من انهيار التبادل المعائشي (الاقتصادي) لكونه المؤثر الأكبر في تكوّن مجتمع الكوفة الذي نشأ من خلال توافد القبائل العربية من الحجاز واليمن والعراق والأجانب وهم الذين يعرفون بـ(الحمراء) ينتقل عليه السلام إلى العمود الثاني في تكون الروابط الاجتماعية وهو (القيم).

وتختلف النظرة والمفهوم فيما بين الناس إلى القيم التي يؤمنون بها فطاعة الأمير أو السلطة يتفاوت الناس في حجم قيمتها لديهم فمنهم من يراها مرتبطة بالتدين ومنهم من يراها مرتبطة بالسياسة ومنهم من يراها مرتبطة بصلاح المجتمع بصفتها تحقق النظام لسلوك الناس وهكذا.

ولذا؛ كانت القيم هي العمود الثاني الذي يربط الأفراد الذين يحملونها ويلتزمون بها سواء أكانوا في المنزل أم الشارع أم المدرسة أم المقهى أم العمل.

وهو ما يعرف في علم الاجتماع بـ(الفروانسية **Individuailism**) (إذ يتشاطر فيها معتقدات واحدة ومعايير موحدة تسمح لهم بالتصارع مع الآخرين الذين يتعاكسون معهم في مصالحهم الذاتية أو الذين يختلفون معهم في وجهة نظرهم.

وعندما يدخلون في عمل عدواني مع الجماعة الثانية يعني أنهم يمثلون مصالح مشتركة واحدة وعندما لا يتم ذلك فإن السلوك العدواني يتحول من الخارج إلى الداخل أي: فيما بينهم، أو يأخذ الصراع الداخلي أو الحرب الأهلية أو الاهتياج الحضري أو الشغب التخريبي ضد القانون في المدن)[1].

---

(١) علم المشكلات الاجتماعية، د. معن خليل: ص١٨٤.

ومن هنا:

نجد أن الإمام الحسين عليه السلام عمد في دعائه على القوم الظالمين في إزالة العمود الثاني الذي يعمل على تكون الروابط الاجتماعية وهو (القيم) كي لا يجتمع هؤلاء في مكان واحد فيعيشوا في الأرض الفساد، فهؤلاء اعتقدوا بقيم تلاقت فيها أهواؤهم ومالت إليها نفوسهم؛ فإن تغيرت هذه القيم تفرق هؤلاء وتباعدوا بتباعد القيم التي يؤمنون بها فتتنافر معها نفوسهم مما يؤدي إلى انشغالهم ببعضهم وانحصار ضررهم بهم حتى يتناهوا.

وبذلك يكون الناس في مأمن منهم ومن آثار وجودهم في المجتمعات التي فرض تكوينها المجتمعاتي تعدد الثقافات واختلاف المعتقدات.

وحيث أن المدار الذي دارت فيه هذه المعركة هو الصلاح والفساد المرتكز على القيم القرآنية فإن هؤلاء انطلقوا من قيم الجاهلية التي ترى لزوم محاربة الدين الإسلامي وقتل أهل القرآن وهم محمد وعترته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إذن: تنص نظرية الإمام الحسين عليه السلام في انهيار الروابط الاجتماعية بين الأفراد العدوانيين والمنحرفين على اختلال القيم التي يؤمنون بها فيتحولون إلى قيم مغايرة تدفعهم إلى الفرقة وعدم الائتلاف مما يؤدي إلى تحقيق الأمان والصلاح للمجتمعات التي تؤمن بالقيم القرآنية حينما يكف عنها أولئك المنحرفون فينشغلون بأنفسهم وهو ما تضمنه قوله عليه السلام في العقوبة الثانية، حيث قال:

«واجعلهم طرائق قدداً».

أي: اجعلهم طبقات لا تتفق أهواؤهم.

قال ابن منظور: صار القوم قدداً، أي: تفرقت حالاتهم وأهواؤهم[١].

فهؤلاء إذا اجتمعت أهواؤهم ليس فقط يقتلون طفلا جريحا قد قطعوا يده وهو في حجر عمه الجريح وإنما يقتلون حتى سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم فما دم الحسين ولحمه إلا دم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولحمه.

العمود الثالث السلطة

تعد السلطة (الحكومية) أو (المؤسسة الرسمية) من الأعمدة الثلاثة التي نصت عليها نظرية الإمام الحسين عليه السلام في انهيار الروابط الاجتماعية أو (التفكك الاجتماعي).

والسلطة لها دوران إيجابي وسلبي، فأما الإيجابي فيكمن في قيام السلطة بكبح الفرد عن الانحرافات السلوكية داخل المجتمع، أي أنها تعمل على تحقيق الضبط الاجتماعي، وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين في بيانه لدور السلطة الإيجابي المتمثل في تحقيق الضبط الاجتماعي فيقول عليه السلام:

«لابد للناس من أمير باراً كان أو فاجراً»[٢].

والعلة في ذلك تعود إلى إمكانية السلطة ـ من حيث كونها المؤسسة الحاكمة ـ من الحد دون وقوع الانحرافات السلوكية أو إلزام الفرد المنحرف سلوكياً في الامتثال لقوانين المجتمع الذي يحيا فيه وإن كانت لا تروق له ضوابطه وقيمه وسلوكياته لأنه نشأ على خلافها وهو ما توصل إليه عالم الاجتماع الأمريكي المعصار (بول

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: ج٥، ص١٦.

(٢) الملاحم والفتن، السيد ابن طاووس: ص٧٨. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٧٢، ص٣٥٨. كنز العمال للمتقي الهندي: ج٥، ص٧٧٩، برقم١٤٣٦٦.

هورتون ـ **Hortorn Paul**)، فهو (يحدد بدقة أسباب الانحراف الشخصي التي تظهر في مرحلة تعلم المعايير الاجتماعية الجديدة واكتسابها أو لقواعدها ونظمها.

ذلك أن نمو الانحراف يتساوق مع نمو شخصية الفرد، وعندما ينمو السلوك الانحرافي فمن المحتمل أن يكون المنحرف غير قادر على تبني المعايير الجديدة أو اكتسابها أو أنه فشل في اكتسابها أو تعلمها، أو أنه نشأ نشأة اجتماعية ناقصة بسبب سوء تطبيق أنظمة المؤسسات الرسمية في المدرسة أو العمل أو النقابة، أو وفاة أحد أبويه عندما كان صغيرا، أو مصاحبته لأصدقاء سيئي الخلق، كل هذه الظروف قد تخلق عنده مواقف سلبية من الأمانة والشرف والعفة كمبادئ أخلاقية لا يلتزم بها فيكذب ويبالغ ويفتري ويستغل دون حياء أو خجل ولا يشعر بالذنب أو العار عندما يمارس سلوكية ضد هذه المبادئ الأخلاقية الرفيعة فينخرط بعمق بالمشكلات الاجتماعية ليبحث عن نفوذ وثروة بأساليب غير مشروعة حتى لو كانت على حساب الآخرين أو المبادئ القانونية والأخلاقية)[1].

ولذا تلعب السلطة القانونية دوراً أساساً في حفظ قيام المجتمع ودوام الحياة فيه بكفها المنحرفين عن القيام بما هو مخالف لنظام المجتمع والآداب العامة والكف عن وقوع الجريمة وهذا في الجانب الإيجابي للسلطة.

أما في الجانب السلبي للسلطة والذي يعمل على انهيار الروابط الاجتماعية فيبرز هذا الجانب من خلال اعتماد السلطة على مفهوم القوة في فرض سياستها على المجتمع مع غض النظر عن التوجهات الفكرية للأفراد وكبت حرياتهم

---

(١) علم المشكلات الاجتماعية، د. معن خليل: ص١٧٥، ١٧٦.

وحقوقهم السياسية مما يؤدي إلى خلق حالة من الصراع بين أفراد المجتمع والسلطة الحاكمة وغالبا ما يستخدم فيما بينهم العنف كوسيلة لفرض الحقوق السياسية للفرد أو الجماعة.

بمعنى: انحصار الصراع فيما بين الحكم المتسلط وبين تلك الجماعات لغرض فرض حالة جديدة في المجتمع أي القيام بمرحلة بناء اجتماعي جديد وهو ما تضمنه قوله عليه السلام:

«ولا ترض الولاة عنهم أبداً».

وهي حقيقة علمية تنبه إليها علماء الاجتماع المعاصرون حيث وصفوا هذه الظاهرة بـ(ميل العنف نحو البناء الاجتماعي)، بمعنى: (إذا كان البناء الاجتماعي من النوع المتصلب، أي يتحكم به نظام ديكتاتوري فردي أو حزب واحد أو طائفة دينية واحدة أو عائلة واحدة أو مشيخة واحدة؛ فإن الفئات الاجتماعية الموزعة على تدرجه تميل إلى ممارسة العنف المبطن لأن واجباتها أكثر من حقوقها ولأنها محرومة من ممارسة نشاطها الفكري والانتخابي ـ السياسي والاقتصادي وسواه ـ.

أما إذا كان البناء الاجتماعي مرناً فإن الاختلافات بين فئات المجتمع لا تصل إلى درجة الصدام العنفي بسبب انفتاح البناء على تقبل المستجدات، وعمله على توازن الحقوق مع الواجبات، ويعيد توزيع الفئات على التدرج الاجتماعي وفتح قنوات لتصريف التوترات والصراعات إذا حصلت بين الفئات الاجتماعية)[1].

فكيف إذا كانت الحالة مستديمة الحدوث والتجدد على مرّ العصور كما هو حال العلاقة فيما بين المجتمع الإسلامي والولاة الذين يحكمونه كما حدث في

(١) علم المشكلات الاجتماعية، د. معن خليل: ص١٨٦.

القرون الماضية من حين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وإلى يومنا الحاضر، فما شهده المجتمع الإسلامي من ممارسة السلطات الأموية والعباسية والعثمانية والاستعمارية من العنف فهو ما لا يمكن حصره في البحث.

وهذا يدل على أن العلة في ذلك تعود إلى تمركز ثقافة الجاهلية في المجتمع الإسلامي بعد مرور نصف قرن على وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يومنا هذا؛ بمعنى دوام ظهور هذه الثقافة في المجتمع الإسلامي حتى بعد فاجعة الطف مما يستلزم دوام العقاب الإصلاحي لغرض تحقيق البناء الاجتماعي.

فلو تُرِك هؤلاء على هذه الثقافة لما بقي من الإسلام شيء حتى الاسم.

إذن:

جمعت نظرية الإمام الحسين عليه السلام في انهيار الروابط الاجتماعية على ثلاثة أعمدة تدور حولها تلك الروابط الاجتماعية، بمعنى: أن تكوّن المجتمعات ينبع من تلك الأعمدة الثلاثية.

وهي: (التبادل المعائشي ـ الاقتصادي) و(القيم) و(السلطة).

وإن انهيار أحد الأعمدة المكوّنة للمجتمعات تؤدي إلى الوهن الاجتماعي أو الانهيار.

بمعنى: أن المجتمع الذي خرج لقتال الإمام الحسين عليه السلام كونته هذه الأعمدة، فهم تربطهم الروابط الاقتصادية من خلال رواتب الجند، فضلا عن غنائم الحرب والسلب الذي قاموا به فقد سلبوا سيد شباب أهل الجنة بعد قتله وسلبوا حرائر الرسالة وبنات الوحي.

وتجمعهم كذلك القيم التي آمنوا بها والتي أجازت لهم قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما (سألهم عن سبب قتالهم له قائلاً:

«ويلكم أتقتلوني على سنة بدلتها أم على شريعة غيرتها أم على جرم فعلته أم على حق تركته؟».

فقالوا له: (إنا نقتلك بغضا منا لأبيك، وما فعل بأشياخنا يوم بدر وحنين)[1].

وتجمعهم كذلك السلطة فجميعهم من العسكر أي المقاتلة العرب والأجانب وهم الذين يعرفون بالحمراء.

والذين انقادوا للأمير عبيد الله بن زياد ومولاه القابع في الشام يزيد بن معاوية.

إذن: هذه النظرية تكشف عن:

أولاً: لزوم انهيار هذه الأعمدة وما يحف بها من روابط اجتماعية كي يتم حفظ المجتمعات الأخرى وحفظ الأجيال القادمة من تجدد هذه البنية الاجتماعية.

ثانيا: إنّ هذه النظرية تكشف أيضا عن سنة كونية أو سنّة تاريخية في ارتباط النتائج التي تؤول إليها هذه المجتمعات بالمكونات النشوئية للفرد حينما تتفرع من هذه الأعمدة الثلاثة كنتيجة تفرضها هذه السنة الكونية (التاريخية).

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي الشافعي: ج٣، ص٨٠. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٩٣. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ج١١، ص٦٤٧. معالي السبطين: ج٢، ص١٢. مؤتمر علماء بغداد، مقاتل بن عطية: ص١٧٨.

الموضع السابع من أدعيته عليه السلام عند مصرعه

الدعاء الأخير: وهو الدعاء الملكوتي

روى الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس وغيرهما في أعمال شهر شعبان فيما يخص اليوم الثالث منه، عن ابن عياش قال: سمعت الحسين بن علي بن سفيان البنرو فري، يقول: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يدعو به في هذا اليوم ـ يوم ولادة الإمام الحسين عليه السلام[1].

وقال السيد المقرم: ولما اشتد به الحال رفع طرفه إلى السماء[2] وقال:

«أللهم متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، ومدرك ما طلبت، وشكور إذا شكرت، وذكور إذا ذكرت؛ أدعوك محتجاً، وأرغب إليك فقيرا، وأفزع إليك خائفا، وأبكي إليك مكروبا، واستعين بك ضعيفاً، وأتوكل عليك كافيا؛ أحكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا وخدعونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا؛ ونحن عترة نبيك، وولد حبيبك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على وحيك؛ فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً برحمتك يا أرحم الراحمين»[3].

---

(١) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ص٨٢٧. إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس: ج٣، ص٢٠٤.

(٢) بحثت ولم أعثر على هذه العبارة التي جاء بها السيد المقرم في مقتله في مصادر التاريخ والسيرة والمقاتل والأدعية، كما أنه رحمه الله لم يشر إلى مصدرها.

(٣) المصباح للشيخ الطوسي: ص٨٢٧. المزار، محمد بن المشهدي: ص٣٩٩. إقبال الأعمال، ←

مباحث الدعاء:

المبحث الأول في التربية النفسية: دور الدعاء في تنظيم الدوافع النفسية وانعكاسه على السلوك

يجمع الدعاء الأخير للإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء معارف جمة لا تسعني الإحاطة بها إلا أنني سألت الله أن يفتح عليّ من كنوز هذه المعارف كي أتمكن من الوقوف عند أسرارها ومقاصدها والله ولي التوفيق.

فمنها:

دور الدعاء في تنظيم الدوافع النفسية وانعكاسه على السلوك.

إن من بين المسائل التي شغلت حيزاً كبيراً في الفكر الإنساني وفي مختلف الحضارات هي مسألة التربية، حتى باتت هذه المسألة الشغل الشاغل للمصلحين والمفكرين ابتداءً من أفلاطون ومدينته الفاضلة مرورا بـ(جان جاك روسو ١٧١٢ــ١٧٧٨) وانتهاءً بـ(جون دوي١٨٥٩ــ١٩٥٢) فضلا عن مربي البشرية ومعلمها الأول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وحينما نأتي إلى مدرسة الإمام الحسين عليه السلام، ولاسيما مدرسة الدعاء نجد أن الإمام عليه السلام يضع أصولاً عديدة للتربية التي احتار في مناهجها الصحيحة المفكرون والفلاسفة فكان من بينها، أي أصول التربية، هو الدعاء.

فالدعاء في مدرسة الإمام الحسين عليه السلام هو عبارة عن منهاج للتربية الروحية

السيد ابن طاووس: ج٣، ص٣٠٤. المصباح للكفعمي: ص٥٤٤. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٨٢. ص٢٧٢.

والنفسية، وذلك أن النفس الإنسانية جبلت على سد العوز الحاصل في احتياجاتها والذي غالبا ما يكون هو المسبب الأول للوقوع في الانحراف السلوكي داخل المجتمع.

بمعنى: حينما تبحث النفس عن احتياجاتها فلا تجد ما يلبي لها هذه الاحتياجات تندفع بشكل سلبي لسد هذا الفراغ، ولإسكات تلك الأصوات النفسية الداعية إلى تلبية هذه الاحتياجات يصبح الإنسان بين الخضوع لهذه الرغبات وبين الترويض والتصبير.

إلا أن الزمام الذي يحدد تحرك هذه الدوافع النفسية في مدرسة الإمام الحسين عليه السلام هو إرجاعها في جميع ما يخالجها إلى الله تعالى، وذلك من خلال وضع الدافع النفسي بما يتناسب مع طبيعته الباعثة والمحركة له.

و(الدافع) في علم النفس هو القوة المحركة أو الباعثة، أي هو علة السلوك وحين نريد أن نعرف لماذا تصرّف أحد الناس على النحو الذي حدث، فنحن نتساءل عما (دفعه) أو (حركه) لهذا الفعل)[1].

بمعنى: أنّ الإمام الحسين عليه السلام يجعل الأصل في الدعاء هو الحاجة، باختلاف أنواعها، فقد تكون الحاجة هي طلب العافية، وقد تكون طلب الزوجة، أو الذرية، أو فرصة عمل، وغيرها من الحاجات النفسية.

هذه الحاجات النفسية بواعثها تختلف إلا أنها جميعا يرجعها الإمام الحسين عليه السلام إلى الله تعالى فهو قاضي الحاجات وحده، وما عداه أسباب تتأرجح

---

(١) موسوعة علم النفس والتربية: ج٤، ص١٠١.

بين البقاء والزوال، وبين الحضور والغياب، وما يلتف حول هذه الحاجات من موجدات زمانية ومكانية يكون الإنسان فيها مرهوناً بين هذه الأسباب وتلك الموجودات وهو لا يدري ما وجه الحيلة في قضاء حاجته ولا يدرك ما يصلحه ولا يضره منها فقد ينقلب (السحر على الساحر) كما يضرب في الأمثال، وقد يصبح المسجون سجاناً، وهذا كله بلحاظ تعلق الإنسان بالأسباب التي تدور مدار حاجات الإنسان في الحياة.

ومن هنا:

يضع الإمام الحسين عليه السلام النفس على جادة الإصلاح حينما تضرب بها الدوافع للحصول على مبتغاها، وحينما تطبق عليها الحاجات فتكاد لا تبصر إلاّ انقضاءها كما قيل:

صاحب الحاجة أعمى وهو ذو حال بصير

فمتى يبصر فيها رشده أعمى فقير[1]

«صاحب الحاجة أعمى لا يرى إلا قضاء حاجته»[2].

وقال سليمان بن أدريس بن إسحاق البالين:

ولأن النفس في مهب الريح العاصفة للرغبات وعلى شفا هاوية تلبية الاحتياجات يضع لها الإمام الحسين زمام تقويمها ولجام جموحها فيرجعها إلى خالقها وبارئها فيبدأ بوضع جميع الاحتياجات على اختلافها ضمن حزمة واحدة

(١) كشف الخفاء للعجلوني: ج٢، ص١٨.

(٢) المصدر السابق.

من الدوافع النفسية المختلفة فيضعها بين يدي الله تعالى، لأنه الخالق المدبر والمتكفل والقيوم والمحيط والقادر على تلبية هذه الدعوات وقضاء هذه الحاجات فيقول عليه السلام:

«أدعوك محتاجا».

أي: أن المحرك الأول الجامع للدوافع النفسية هو الحاجة، وأن قضاءها لا يمكن أن يكون عند غير الله تعالى.

ثم يقوم عليه السلام بإرجاع هذه البواعث النفسية بما يناسبها من خلجات بحيث يضع الدواء على الداء، لأن الغرض في الدعاء هو تهذيب النفس وتربيتها على ضبط خلجاتها كي يستقيم سلوكها ولا تخرجها الحاجة عن الانضباط، وهي كالآتي:

المسألة الأولى: الباعث النفسي لدفع الفقر

يربي الإمام الحسين عليه السلام النفس الإنسانية على أسلوب الرغبة إلى الله تعالى حينما يكون الباعث والمحرك في قضاء حاجتها هو الفقر.

بمعنى: حينما يكون الإنسان فقيرا فإنه يحتاج إلى الدعاء في قضاء حاجته ولكن بأسلوب الراغب لما عند الله تعالى؛ وهي حالة وجدانية ترافق الفقر.

قال عليه السلام في دعائه الأخير:

«وأرغب إليك فقيراً».

والرغبة هنا في مقامين.

المقام الأول: تربوي نفسي.

والمقام الثاني: تعبدي أخلاقي وهو الرجاء ولذلك اتبعه بقوله عليه السلام:

«**وأفزع إليك خائفاً**».

فيكون زمام النفس وأساس التربية هو الخوف والرجاء وقد مرّ بيانه مفصلا في مباحث الدعاء الأول.

إلا أنني أجد في هذا المقام أسلوباً آخر يضاف إلى دور الخوف والرجاء في التربية النفسية؛ وهو معالجة الحاجات النفسية بما يناسبها من روادع تربوية كالفقر وعلاجه بالرغبة إلى الله تعالى لأن الفقير يتحرك من الشعور الوجداني وهو الرغبة في نيل الغنى، بمعنى تكون النفس في قرارها مستقرة، أي: غير مضطربة، وهذا يساعدها على الصبر والتحمل والتعفف وهذا يعني امكانية الانتظار حتى تنال النفس مبتغاها.

المسألة الثانية: الباعث النفسي لدفع الخوف

بينما في حالة الخوف لا تكون النفس مستقرة بل مضطربة وهذا ادعى في نزول الغيث الإلهي لما يترتب عليه من اضطراب القلب وضعف القوى بل وانهيارها.

ولذا:

كان المقام هنا ـ أي في الخوف ـ يقتضي الإسراع في حفظ النفس وثباتها من الوقوع في الهاوية كما يحصل في مراحل تعرض الإنسان للخوف في الحروب أو في السجون والتعذيب أو هجوم حيوان مفترس وغيرها.

ومن هنا: نجده عليه السلام أرجع النفس في حالة الخوف إلى الفزع إلى الله تعالى

كي يعاد لها توازنها واستقرارها فلا تخرج عن الحق ؛ أو قد يهلك الإنسان في هذه المواقف، فضلا عن ملازمة الخوف للحزن وهو عامل سلبي خطير.

كما دل عليها القرآن في مواضع كثيرة، قال تعالى:

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[١].

وهنا دور الملائكة تطميني لغرض رفع حالة الحزن المرافقة والملازمة للخوف والفزع.

وقال عزّ وجلّ:

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢].

وقال تعالى:

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٣].

وغير ذلك من الآيات العديدة التي تظهر ملازمة الخوف للحزن.

ولذا: استلزمت تربية النفس عند الإمام الحسين عليه السلام في حالات الخوف

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٨.

الفزع إلى الله تعالى، لأنه هو الذي يعيد لها سكونها واستقرارها القلبي؛ قال عزّ وجلّ:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾(١).

إذن: يكون الباعث النفسي الثاني في الدعاء هو الخوف، ولذا يحتاج الإنسان إلى أن يفزع إلى الله تعالى كي يعيد القلب إلى استقراره، ومن ثم يعيد للنفس اتزانها حتى تتمكن في هذه المواقف من اتخاذ القرار الصحيح، ولذا قال عليه السلام:

«وأفزع إليك خائفا».

المسألة الثالثة: الباعث النفسي لدفع الكرب

ينتقل الإمام الحسين عليه السلام في بيان دور الدعاء في التربية النفسية والسلوكية إلى باعث آخر من البواعث النفسية وهو البكاء.

والبكاء بواعثه النفسية ـ في مدرسة الإمام الحسين عليه السلام ـ تختلف عند الذكور من الإناث، فالمرأة بما جبلت عليه من عواطف إنسانية وأحاسيس مترفة وطبع شفاف يكون البكاء أول البواعث النفسية لدفع ما من شأنه أن ينسجم مع هذه العواطف أو الأحاسيس، أو مع طبعها، وهذا كله جاء ليتناسب وينسجم مع الغرض الذي خلقت لأجله في حفظ دوران الحياة على الأرض.

بينما البكاء عند الرجل يختلف الباعث النفسي المحرك له عن المرأة، إذ يحدده الإمام الحسين عليه السلام في دافع واحد وهو (الكرب) فالكروب هي الباعثة لسلوك البكاء عند الرجل.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

قال عليه السلام:

«وأبكي إليك مكروبا».

والكرب عند أهل اللغة: (على وزن الضرب: الحزن، والغم الذي يأخذ بالنفس...)[١].

والكرائب: الشدائد[٢].

فيكون هنا الباعث النفسي للبكاء عند الرجل هو الحزن والغم الذي يأخذ بالنفس وهو الشدة في الابتلاء.

هذه الحالة النفسية التي يمر بها الرجل إن لم تعالج بالبكاء فسوف تندفع النفس بسبب تلك الانفعالات إلى الخروج عما هو متزن فتوقع الرجل في الانحراف وعدم الانضباط كي يتخلص عن تلك البواعث النفسية التي أوجدها الحزن والغم اللذان يأخذان بنفس الرجل.

ولأن الرجل يرى أن البكاء يتقاطع مع رجولته وصفته الذكورية فإنه غالبا ما يكتم تلك البواعث محاولاً السيطرة عليها مما ينعكس سلباً على سلوكه وسلامته.

في حين يُرشد الإمام الحسين عليه السلام الرجل في مثل هذه الحالات إلى أن يسخر هذه البواعث لصالح التربية النفسية من خلال وسيلة الدعاء، فالرجل حينما يثقل بالغموم والأحزان ولا يجد ما ينفس عنه هذه الشدائد والغموم سيلتجئ إلى العنف بينما لو سخرها من خلال الدعاء إلى الله تعالى فسوف لا يجد حرجا ومانعا

---

(١) تاج العروس: ج٢، ص٣٦٦.

(٢) الصحاح، الجوهري: ج١، ص٢١١.

يتعارض مع رجولته ؛ فضلا عن آثار الدعاء في التهذيب النفسي حينما يدرك الرجل أن هذه الشدة ليس لها من كاشف ومفرج غير الله تعالى.

وحينما نأتي إلى سيد الشهداء عليه السلام نجد حالة خاصة من حالات العبودية التي يفرّق فيها بين البكاء من الكرب وبين البكاء إلى الرب ؛ فالبكاء من الكرب يدور مدار الإنسان بما يجري عليه من شدة لا يرى غيرها شاغلا لقلبه وعقله اللذين يتناسبان مع الغم تناسبا تجاذبيا فكلما اشتد البلاء والكرب كلما انجذبا إليه لشدة انشغالهما بالكرب.

بينما قلب الإمام الحسين عليه السلام وعقله يتعاملان مع الكرب تعاملا تنافريا فكلما اشتد الكرب كلما ابتعدا عنه إلى الله تعالى.

ولذا : فهو يبكي إلى ربه ولا يبكي من كربه ، فقال :

«**وابكي إليك مكروباً**».

المسألة الرابعة: الباعث النفسي لدفع الضعف

إنّ طلب العون حينما يصدر من الإنسان فإنه لا يكون إلا مع وجود حالة من الضعف تحول دون تحقيق الإنسان لما يريد من الاحتياجات وإن اختلفت في أنواعها وأهميتها التي يتم تحديدها من خلال نفس صاحب الحاجة.

فقد تكون أهمية جرعة من الماء عند الإنسان الجالس على مقعد المعاقين وهو لا يتمكن من النهوض أهم لديه من امتلاك منزل.

ولذا : يكون الدافع النفسي لدفع الضعف هو الاستعانة بالقوي وكلما عظمت القوة وازدادت أهمية الحاجة عظم معها الطلب وازداد الافتقار إلى القوي.

وهنا: يُرجع الإمام الحسين عليه السلام الإنسان إلى نواة التوحيد لتنتظم معها حركته الحياتية، فيستوي في سلوكه؛ وذلك لأن العبد مجبول على الضعف كما صرّح القرآن الكريم به:

﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾(١).

إلا أن طغيانه واتباعه للهوى وطول الأمل يجعله يعتقد بالقوة والسلطة والقدرة.

أو أنه يعتقد ذلك في الأسباب كالآلات والمال والسلطان والعشيرة والجاه والعلم والسياسة وغيرها من الأسباب التي يعتقد الإنسان أنها تغنيه عن الله تعالى فينجرف متلهفا للتمسك بها والاستعانة على دفع ما به من ضعف.

إلا أنه سيلمس آجلا أم عاجلا زيف ما استعان به لاسيما وإن كان ضعفه مرتكزاً على الباطل كمن أراد أن يحصل على حاجة ما فيسعى إليها بالوسائل غير المشروعة فتكون الأسباب التي تعلق بها هي في أساسها فاسدة ليقع بين شباك التعلق بالأسباب دون المسبب وبين أنياب الباطل الذي ارتكزت عليه هذه الأسباب.

وفي مثل هذه الظروف ــ أي الحروب حيث لا معين ولا ناصر ــ يكون الإنسان في أشد حالات الضعف فبمن يستعين والعدو لا يرحم، بل يريد أن يفرغ جميع ما اختزنته نفسه الموبوءة بالرذيلة والحيّونة في جسد خصمه الذي يرى فيه تحقق النشوة حينما تتعالى منه الصرخات وتصبغ صورته الدماء.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٨.

هنا: يكون العدو ذو النفس المتحيونة يبتغي ظهور صور الألم والضعف في فريسته؛ وفي نفس الوقت يأمل أن يسمع نداءات طلب الرحمة والاستغاثة ليزداد معها الشعور بالنشوة التي يتعاظم معها الدافع النفسي لإفراغ ما تختزنه النفس من حقد فيزداد معها إنزال الألم والأذى في الخصم.

كل هذه الأجواء النفسية كان الإمام الحسين عليه السلام محيطاً بها ومطلعاً على حقائق النفس البشرية وخلجاتها، فيقدم درساً لكل المجاهدين والأحرار، لكل من آمن بالله واليوم الآخر في كيفية مواجهة الحالات التي تضعف فيها النفس فتندفع للبحث عن المعين الذي يعينها على ضعفها ويستنقذها من وهنها؛ ولكي لا تنهار فتخطئ الوجه فتندفع إلى الخصم لتطلب منه الرحمة أو للتهاوي أمام الأسباب فتتعلق بها، فيزداد ضعفها وتنهار قواها.

لأجل كل ذلك وغيره مما لم نحط به علماً بالنفس البشرية والروحية: وضع له الإمام الحسين عليه السلام علاجاً يحفظ للنفس قوتها وعزتها وحياتها فيرجعها إلى القوي الذي لا يخالطه ضعف، إنه يرجع النفس إلى بارئها، إلى خالقها.

ولذا: وضع الباعث النفسي للضعف في مربطه فأرجعه إلى الاستعانة بالله تعالى.

فقال عليه السلام:

«واستعين بك ضعيفا».

أي وضع النفس في نواة حركتها العبودية وإرجاعها إلى نواة التوحيد كي تستمد قوتها من الخالق.

المبحث الثاني: مبحث نفسي أخلاقي

دور التوكل في ضبط حركة النفس والسلوك

إنّ المنهاج التربوي الذي أسسته المدرسة العاشورائية في كربلاء يضع بين يدي التربويين والمعنيين بدراسة النفس الإنسانية سلسلة متكاملة من الحقائق العلمية المرتبطة بخبايا النفس وحركتها الفلكية بين المشاعر والغرائز والأحاسيس.

والإمام الحسين عليه السلام يرشد الإنسان إلى معرفة نفسه ورصد حركتها، فيبين له كيف يصحح مسارها ويضبط توجهاتها فلا تقع في مصائد الهوى وحيرة الشك وذل المعصية فتتكالب عليها الغرائز وتسوقها الأحاسيس وتتقاذفها المشاعر هنا وهناك وهو لا يهتدي الوجه ولا يستدل على المقصد.

ولذا: يضع عليه السلام من خلال فقرات هذا الدعاء الملكوتي البواعث النفسية في مسارها الصحيح كي تحفظ النفس من الوقوع في الهلكة، وذلك من خلال إرجاعها إلى نواة التوحيد وإن بعدت في مسارها الفلكي عن النواة.

فالإمام الحسين عليه السلام يبدأ في حركة النفس من التوحيد ويختم هذه الحركة بالتوحيد، وذلك أن النفس تستمد حركتها من فطرتها التي خلقها الله تعالى؛ ولذا نراه عليه السلام يبدأ في الدعاء عند بيانه للبواعث النفسية بالنواة التي تدور حولها البواعث فيقول:

«أدعوك محتاجاً».

إذ الأصل في الدعاء إلى الله تعالى في مدرسة عاشوراء هو الحاجة إليه سبحانه، وإن اختلفت الحاجات وتعددت؛ ثم يختم عليه السلام هذه الحركة الفلكية

بالعودة إلى الله تعالى من خلال التفويض إليه في جميع الأمور ليقينه بأن التسليم لله والتفويض إليه مع يقينه بعجز العبد عن القيام بأموره دون الله تعالى، هو الذي يربط النفس بالنواة وذلك من خلال التوكل.

وللوقوف عند مكامن التوكل وأثره على ضبط حركة النفس ينبغي المرور ببعض المسائل.

المسألة الأولى: التوكل في اللغة

قال ابن منظور: (المتوكل على الله: الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره وقال ابن سيدة: وكل بالله وتوكل عليه واتكل استسلم إليه، وتكرر في الحديث ذكر التوكل، يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان، أي: ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه، ووكل إليه الأمر: سلمه، ووكله إلى رأيه وكلا ووكولا: تركه)[1].

وقال الطريحي: (الأصل في التوكل إظهار العجز والإعياء، والاسم التكلان، والتوكل على الله: انقطاع العبد إليه في جميع ما يأمله من المخلوقين، وقيل: ترك السعي فيما لا يسعه قدرة البشر فيأتي بالسبب ولا يحسب أن المسبب منه كحديث (إعقل وتوكل)، قوله تعالى:

﴿قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾[2].

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ج١١، ص٧٣٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٦.

الوكيل على الشيء هو القائم بحفظه والذي يدفع الضرر عنه، قال المفسرون: ومعناه لست بحافظ أعمالكم ولا أجازيكم بها، إنما أنا منذر والله تعالى هو المجازي.

والتوكيل هو أن تعتمد على الرجل وتجعله نائبا عنك، ومنه قوله تعالى:

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(١).

أي اكتف به يتولَّ أمرك ويتوكل لك؛ والوكيل من أسمائه تعالى، قيل هو الكافي، وقيل هو الكفيل بأرزاق العباد، وفي الحديث (لو توكلتم على الله حق توكله لكان كذا) وذلك بأن يعلم يقينا أنه لا فاعل إلا الله وكل موجود من رزق وعطاء ومنع وغير ذلك من الله، ثم يسعى في الطلب على الوجه الجميل.

وفي معاني الأخبار (التوكل على الله: العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الناس، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله ولم يرج، ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله، وقد يظن أن التوكل هو ترك التكسب وهو ظن جهالة بل هو حرام).

وفي حديث أبي بصير عنه عليه السلام، وقد قيل له: فما حد التوكل؟ قال:

«اليقين».

قيل: فما حد اليقين؟ قال عليه السلام:

«أن لا يخاف مع الله شيئا».

ووكلت أمري إلى فلان: ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، والتوكيل معروف،

(١) سورة النساء، الآية: ٨١.

يقال وكلته بأمر كذا توكيلا، والوكالة فتحا وكسرا: اسم من التوكيل وهي مشتقة من وكل إليه الأمر أي فوضه إليه. وهي في الشرع: الاستنابة بالتصرف، وهي كما قيل: أقسام ثمانية ـ: مسلم لمسلم على مسلم، يصح إجماعا؛ مسلم لمسلم على كافر، يصح إجماعا؛ مسلم لذمي على مسلم، فيه خلاف؛ ذمي لذمي على ذمي، يصح إجماعا؛ ذمي لمسلم على ذمي، يصح إجماعا؛ ذمي لمسلم على مسلم، لا يصح إجماعا؛ ذمي لذمي على مسلم، لا يصح إجماعا.

وتوكل به: ضمن القيام به.

وفى حديث المقتدي بصلاته (لا ينبغي له أن يقرأ يكله إلى الأمام)، ووكله إلى نفسه ووكولا أي خلاه ونفسه، ومنه الحديث (ورجل وكله الله إلى نفسه) أي خلا بينه وبين شيطانه، وهو المعني بالضلال في قوله تعالى:

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[1].

وفي الحديث (إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله).

يقال تواكل القوم تواكلا: إتكل بعضهم على بعض، واتكلت على فلان في أمري: إذا اعتمدته، قال الجوهري: وأصله أوتكلت، قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم أبدلت منها التاء فأدغمت في تاء الافتعال ثم بنيت على هذا الادغام أسماء من هذا المثال، وإن لم يكن فيها تلك العلة لتوهم أن الواو أصلية، لان هذا الادغام لا يجوز إظهاره في حال، فمن تلك الأسماء التكلة والتكلان، والتخمة،

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

والتهمة، والتراث، والتجاه، والتقوى، وفي الحديث (وكل الله الرزق بالحمق ووكل الحرمان بالعقل، ووكل البلاء بالصبر) كأن المراد كل واحد من هذه الثلاثة لا يفارق صاحبه.

والمتوكل: أحد خلفاء بني العباس كان في زمن علي الهادي عليه السلام وهو الذي أمر بحرث قبر الحسين عليه السلام وهدم بنيانه، فعليه ما يستحقه)[١].

المسألة الثانية: التوكل في القرآن الكريم

ورد (التوكل) في القرآن الكريم في آيات عديدة كقوله تعالى:

١ـ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[٢].

٢ـ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

٣ـ ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[٤].

٤ـ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾[٥].

٥ـ ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[٦].

---

(١) مجمع البحرين للطريحي: ج٤، ص٥٤٦ـ٥٤٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٩.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٥) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٦٧.

٦ـ ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(١).

٧ـ ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾(٢).

وغيرها من الآيات الكريمة التي تظهر مقام التوكل في سلم الارتقاء الإيماني ومرتبته في السلوك العرفاني، حتى أولاه أهل الإيمان والصلاح عناية فائقة وخصوه بمراقبات شديدة كي يوطنوا أنفسهم عليه ويعقلوا قلوبهم إليه فكان مما أفاض به العارف الرباني السيد الطباطبائي (قدس) أن قال: (وحقيقة الأمر من مضي الإرادة والظفر بالمراد في نشأة المادة يحتاج إلى أسباب طبيعية وأخرى روحية، والإنسان إذا أراد الورود في أمر يهمه وهيأ من الأسباب الطبيعية ما يحتاج إليه لم يحل بينه وبين ما يبتغيه إلا اختلال الأسباب الروحية كـ: وهن الإرادة، والخوف، والحزن، والطيش والشره، والسفه، وسوء الظن، وغير ذلك، وهي أمور هامة عامة وإذا توكل على الله سبحانه وفيه اتصال بسبب غير مغلوب ألبتة وهو السبب الذي فوق كل سبب قويت إرادته قوة لا يغلبها شيء من الأسباب الروحية المضادة المنافية فكان نيلا وسعادة.

وفي التوكل على الله جهة أخرى يلحقه أثرا بخوارق العادة كما هو ظاهر قوله:

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٢.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[(١)][(٢)].

وذلك أن معنى التوكل: (هو اتخاذ العبد ربه وكيلا يحل محل نفسه ويتولى تدبير أموره، أي انصرافه عن التسبب بذيل ما يعرفه عن الأسباب، ولا محالة هو ـ أي الإنسان ـ بعض الأسباب الذي هو علة ناقصة، والاعتصام بالسبب الحقيقي الذي إليه ينتهي جميع الأسباب)[(٣)].

(لأن هذه الأسباب لا تغني من الله شيئاً ولا لها حكم دون الله سبحانه فليس الحكم مطلقا إلاّ لله بل هذه أسباب ظاهرية إنما تؤثّر إذا أراد الله لها أن تؤثر)[(٤)].

أي: أنّ اتخاذ الإنسان لبعض الأسباب الدنيوية لغرض التحرز من البلاء ودفع الضرر أو استحصال المعيشة لا تؤدي غرضها إلا مع التوكل على الله في اتخاذ هذه الأسباب.

(وعلى هذا المسير يجب أن يسير كل رشيد غير غوي يرى أنه لا يقوى باستقلاله لإدارة أموره ولا أن الأسباب العادية باستقلالها تقوى على إيصاله إلى ما يبتغيه من المقاصد، بل عليه أن يلتجئ في أموره إلى وكيل يصلح شأنه ويدبر أمره أحسن تدبير فذلك الوكيل هو الله سبحانه القاهر الذي لا يقهره شيء الغالب الذي لا يغلبه شيء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد)[(٥)].

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) تفسير الميزان، الطباطبائي: ج٤، ص٦٥.

(٣) تفسير الميزان: ج٩، ص٤١٢.

(٤) تفسير الميزان، الطباطبائي: ج١١، ص٢١٨.

(٥) تفسير الميزان، الطباطبائي: ج١١، ص٢١٨.

ومن هنا كان ثمار التوكل على الله هو أنه حسبه، لقوله تعالى:

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[١].

أي: (إن الله تعالى هو حسبه دون سائر الأسباب الظاهرية التي تخطئ تارة وتصيب تارة أخرى)[٢].

والعلة في ذلك: (إن الأمور محدودة محاطة له تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[٣]، ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾.

فهو غير خارج عن قدره الذي قدره به، وهذا نصيب الصالحين من الأولياء من هذه الآية.

وأما من هو دونهم من المؤمنين المتوسطين من أهل التقوى النازلة درجاتهم من حيث المعرفة والعمل فلهم من ولاية الله ما يلائم حالهم من إخلاص الإيمان والعمل الصالح وقد قال تعالى وأطلق:

﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

وقال وأطلق:

﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥].

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣

(٢) تفسير الميزان، الطباطبائي: ج١٩، ص٣١٥.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

(٥) سورة الجاثية، الآية: ١٩.

وتدينهم بدين الحق وهي سنة الحياة وورودهم وصدورهم في الأمور عن إرادته تعالى هو تقوى والتوكل عليه بوضع إرادته تعالى موضع إرادة أنفسهم فينالون من سعادة الحياة بحسبه ويجعل الله لهم مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، وحسبهم ربهم فهو بالغ أمره وقد جعل لكل شيء قدرا. وعليهم من حرمان السعادة قدر ما دب من الشرك في إيمانهم وعملهم وقد قال تعالى:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1].

وقال وأطلق:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[2].

وقال عزّ شأنه:

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾[3].

أي لمن تاب من الشرك؛ وقال وأطلق:

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

فلا يرقى المؤمن إلى درجة من درجات ولاية الله إلا بالتوبة من خفي الشرك الذي دونها)[5].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٣) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٩.

(٥) تفسير الميزان، الطباطبائي: ج١٩، ص٣١٦.

إذن :

ارتبط التوكل بمراتب التوحيد فكلما أخلص العبد في توحيده لله تعالى كلما تعاظم عنده التوكل على الله تعالى حتى يندمج كلاهما في قلب العبد، بمعنى لا ينفك التوكل عن التوحيد، وبه يسبح المخلصون في فضاء العبودية لله تعالى شأنه.

وقد دلت الأحاديث الشريفة على تلكم المعاني والحقائق الإيمانية المرتبطة بعلاقة التوكل مع التوحيد وتدرج المؤمن في مراتبه التوحيدية والتي شكلت ركائز تحقق التوكل في قلب المؤمن بالله تعالى.

وهو ما سنشير إليه في المسألة الآتية

المسألة الثالثة: التوكل في السنّة[١]

يرشد أهل البيت عليهم السلام الإنسان إلى حقائق الأعمال ومقوماتها ومحبطاتها كي يسلكوا به سبل السلام إلى دار السلام والفوز بالجنة ورضوان من الله أكبر.

وفي التوكل جملة من المقومات له والمحبطات يذكرها أئمة أهل البيت عليهم السلام والتي ستوقفنا في نهاية الأمر على معرفة ظواهر دعاء سيد الشهداء عليه السلام حينما ناجى ربه وهو على رمضاء كربلاء وقد اشتد به الحال: قائلا :

وأتوكل عليك كافياً.

فما مراده من ذلك وهو ـ بأبي وأمي ـ في اللحظات الأخيرة من حياته!؟.

---

(١) السنّة عند الشيعة الإمامية هي: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفعله وتقريره يضاف إلى ذلك قول عترته وأفعالهم وتقريرهم، والسنة عند غيرهم من المذاهب الإسلامية هي قول الرسول وفعله وتقريره مع قول الصحابة وفعلهم لاسيما الخلفاء الراشدين.

أولا: السنّة الشريفة تعرف التوكل

١ـ إن التوكل أحد أركان الإيمان، وهو الأمر الذي دل عليه قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال:

«الإيمان له أركان أربعة التوكل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله»[1].

٢ـ وفي حديث نبوي شريف رواه الصدوق بسنده عن أبيه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إن النبي سأل جبرائيل عن التوكل فقال عليه السلام:

«العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع واستعمال اليأس مع الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكل»[2].

٣ـ إن التوكل شراع سفينة المؤمن، وهو مما أوصى به نبي الله لقمان ولده، فعن الإمام موسى بن جعفر أنه قال لهشام بن الحكم:

«يا هشام إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس، وإن الكيس لدى الحق يسير، يا بني إن الدنيا بحر عميق، قد غرق فيها عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان وشراعها التوكل، وقيمها العقل وليلها العلم، وسكانها الصبر»[3].

---

(١) الكافي للكليني: ج٢، ص٧٤.

(٢) معاني الأخبار للصدوق: ص٢٦١. الوسائل للحر العاملي: ج١٥، ص١٩٤.

(٣) الكافي للكليني: ج١، ص١٦.

ثانيا: درجات التوكل

يظهر الحديث الوارد عن الإمام الكاظم عليه السلام في بيان قوله تعالى:

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[١].

إن للتوكل درجات إيمانية ينبغي بالمؤمن أن يسلكها كي يصل إلى منزلة التوكل.

فعن علي بن سويدة عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجل:

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؟

فقال:

«التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضياً تعلم أنه لا يألوك إلا خيرا وفضلا، وتعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها»[٢].

وهنا: يجعل الإمام الكاظم عليه السلام درجات لسلم التوكل، وهي كما يلي:

ألف: كي يتحقق التوكل على الله فينبغي أن يكون التوكل في الأمور كلها، إذ قد يتصرف البعض من الناس في الأمور اليسيرة بدون التوكل على الله فيرجعها إلى نفسه وقدرته، وأحياناً يحدث أهله وأخوانه بانجازاته حتى وإن كانت صغيرة،

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) الكافي للكليني: ج٢، ص٦٥.

في حين نراه لا يلجأ إلى التوكل إلا في العسر والشدة، وهذا إن لم يلتجئ إلى الأسباب الدنيوية كالمال والعشيرة والجاه والوساطة وغيرها؛ ولذلك الدرجة الأولى من التوكل أن يكون الإنسان متوكلاً على الله في جميع أموره.

باء: الرضا بما يفعله الله بالمتكل عليه، فقد يظهر بعض الناس عدم الرضا والاعتراض على ما نزل بهم في حياتهم وروابطهم المعيشية فإما يندب حظه وسوء توفيقه وإما يندب الأسباب فيردد (لو كان كذا، لكان كذا)، في حين يعد الرضا بما يفعله الله بعبده هو الدرجة الثانية في الارتقاء بسلم التوكل.

جيم: العلم بأن الله لا يريد بعبده إلا الخير ولا ينقله إلا إلى الخير والفضل ولا ينقل إليه إلا الفضل والخير وهذه هي الدرجة الثالثة.

واو: العلم بأن الحكم في كلما ينزل بالإنسان ـ بعد علمه بأن الله لا يريد به إلا الخير والفضل ـ هو أن الله الحاكم ومن ثم يقوده هذا العلم إلى التسليم لأمر الله تعالى فضلا عن سقوط حق الاعتراض فيما يفعله الحاكم وهذه الدرجة الرابعة.

هاء: التفويض إلى الله تعالى.

بعد أن يرتقي المؤمن هذه الدرجات يصل إلى درجة التفويض في أمره وما يرتبط به إلى خالقه، وهذه لا تتأتى ابتداءً، بمعنى: لا يستطيع المؤمن أن يفوض أمره لله تعالى ما لم يكن محرزا لتلك الدرجات من سلم التوكل.

ياء: الثقة بالله تعالى، وهي مفتاح خزانة التوكل على الله تعالى؛ فمن لم يثق لم يفوض، ومن لم يفوض جهل الحاكمية، ومن جهل الحاكمية توقع حدوث المكروه وإنزال العقوبة وإن الله أراد به شراً؛ ومن توقع ذلك أعطى لنفسه الحق في

الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بما قدر الله له ومن اعتقد ذلك انصرف كليا في جميع أموره إلى غير الله تعالى وتعلق بالأسباب، بل وسلم لها لأنه واثق بها في الحصول على الخير ودفع الشر دون الله تعالى وهو الشرك ـ والعياذ بالله ـ إما غفلة أو عمداً.

ثالثا: ركائز التوكل

تتحدث جملة من الأحاديث الشريفة عن الركائز التي يرتكز عليه حصن التوكل، وهي كالآتي:

أولا: اليقين

١ـ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قال لي:

«ما من شيء إلا وله حد».

قال، فقلت: وما حد التوكل؟، قال:

«اليقين».

قلت: فما حد اليقين؟، قال:

«أن لا تخاف مع الله شيئا»[١].

٢ـ روى الكليني عن يونس قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الإيمان والإسلام، فقال:

«قال أبو جعفر عليه السلام: إنما هو الإسلام، والإيمان فوقه بدرجة والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة ولم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين».

---

(١) الأصول الستة عشر، عدة محدثين: ص١٠٤.

قلت: فأي شيء اليقين؟. قال:

«التوكل على الله والتسليم لله، والرضا بقضاء الله، والتفويض إلى الله»[١].

ثانيا: صدق النية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو أن رجلاً توكل على الله بصدق النية لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم! فكيف يحتاج هو ومولاه الغني الحميد»[٢].

والحديث يكشف عن أن صدق النية هو الركيزة الثانية التي يرتكز عليها التوكل.

ثالثا: الثقة بالله عزوجل

عن الصادق عليه السلام قال:

«لم يكن رسول الله يقول لشيء قد مضى: لو كان غيره»[٣].

وهذا الحديث يدل على الثقة بالله تعالى فيما قدّر واختار لعبده.

إذن:

يعد اليقين، وصدق النية، والثقة بالله عزّ وجل هي الركائز التي يرتكز عليها التوكل.

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، هادي النجفي: ج١، ص٤٩٨.

(٢) مشكاة الأنوار، علي الطبرسي: ص٥٢. فيض القدير للمناوي: ج٦، ص١٩٤.

(٣) الكافي للكليني: ج٢، ص٦٣.

رابعا: ثمار التوكل

لكل عمل ثمرة يتوقف صلاحها وفسادها على جنس العمل وسنخيته؛ فالعمل الصالح لا يثمر إلا طيباً والذي خبث لا يخرج إلا نكدا.

والتوكل له ثمار عديدة دلت عليها الأحاديث الشريفة عن أئمة العترة عليهم السلام وهي كالآتي:

١ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن لكل شيء شرفاً، وإن شرف المجالس ما استقبل به القبلة، من أحب أن يكون أعز الناس فليتق الله، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده»[١].

٢ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إن الغنى والعز يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا»[٢].

٣ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«من أعطي ثلاثا لم يمنع ثلاثا: من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية»[٣].

---

(١) تحف العقول، لابن شعبة الحراني: ص٢٧.

(٢) الكافي للكليني: ج٢، ص٦٥.

(٣) المصدر السابق.

المسألة الرابعة: التوكل عند سيد الشهداء عليه السلام

وفيه أمور:

الأمر الأول: من البديهي أن الإمام المعصوم عليه السلام حينما يناجي ربه لا يلفظ الكلمات دون دراية بمعانيها ودلالاتها بمعنى: أنّنا حينما ندعو الله تعالى نقوم بلفظ ما يرد على القلب من ألفاظ تحمل في مظانها التوسل والتضرع لقضاء الحاجة التي نحتاج قضاءها، كطلب العافية في حال المرض، وتفريج الهموم في قضاء الدين أو توقع المحذور، أو الحصول على العمل وغيرها مما يحتاج إليه الإنسان.

وغالباً ما نستعين بالأسماء الحسنى التي قد لا ندرك دلالاتها وما يناسبها من مواضع الحاجة والتأدب في الخطاب مع الله تعالى؛ كقول الداعي في حالة المرض وهو يقصد العافية بقوله: وأنت القادر القاهر فهذا لا يتناسب مع الحاجة وإن كان الله عز وجل هو القادر على الشفاء والقاهر للمرض لكن هذه الأسماء في حالة الدعاء على العدو أمضى وأتم وأجمل في الطلب، إلا أن هذه المطالب مغضوض عنها حينما يكون الدعاء نابعاً من قلب العبد وتوجهه إلى ربه.

في حين لا تكون الألفاظ مبعثرة عند المعصوم صلوات الله وسلامه عليه في حالة الدعاء.

بمعنى:

أن الإمام الحسين عليه السلام حينما ناجى الله تعالى بهذه الكلمات التي ابتدأها بقوله:

«أدعوك محتاجاً».

ثم يتدرج في مراتب التوحيد ليختمها بقولها :

«**وأتوكل عليك كافياً**».

لم تكن كلماته محض صدفة بحيث جرت على لسانه وهي مسبوقة بخطرات تخطر على قلبه المقدس.

وإنما هو يعرج من فضاء إلى فضاء ليصل إلى نواة العبودية لله وصدق التوحيد وعين اليقين وهو التوكل على الله تعالى، لأن التوكل لا يتحقق إلا بتنزيه الخالق عن كل ما من شأنه أن يحرف القلب والعقل عن الله تعالى.

ولذا : ختم دعاءه بعد أن تنقل في هذه الفضاءات الملكوتية ومنازل العبودية التي يظهرها في دعائه لربه فيبدأ من كونه العبد المحتاج إلى مولاه، والفقير الراغب إليه، والخائف الفازع إليه، والمكروب الباكي إلى ربه، والضعيف المستعين بسيده ؛ والمتوكل عليه ثقة وصدقاً، ويقينا بأنه يكفيه جميع أموره.

فضلاً عن جعل مراتب التهذيب النفسي مقدمة لإحراز التوكل مع بيان هذه المراتب والتعريف بها وما يناسبها من الدوافع النفسية التي تعد المحرك لهذه الرتب فيرجعها عليه السلام إلى نواة حركتها وهي التوحيد.

بمعنى آخر :

أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد قدم هذا السلم الإيماني لذوي السلوك والسير إلى الله تعالى من خلال عرضه لتلك الركائز التي يرتكز عليها التوكل وذلك حسب مدارات خارجية تحيط بالقلب لتتحد معه في مركز مدارها ونواة حركتها وهو اليقين بأنه عزّ شأنه كافٍ.

الأمر الثاني: في توكل سيد الشهداء عليه السلام وهو من أعجب ما في التوكل والذي يرد على هيئة سؤال وهو كالآتي:

ما هو الأمر المهول الذي تراءى للإمام الحسين عليه السلام فيدعو ربه ويسأله أن يكفيه إياه وهو ـ بأبي وأمي ـ قد اشتد به الحال وأعياه نزف الدم، وأجهده ضرب السيوف، وطعن الرماح، ومنابت نصال السهام ليدعو الله قائلا:

«وأتوكل عليك كافياً»؟!!.

بمعنى: أي أمر يسأل الله أن يكفيه إياه وهو لم يبق له من العيش في الحياة الدنيا سوى لحظات! سؤال يبعث في النفس الحيرة وفي القلب الوجل؟!.

سؤال لم أجد في نفسي إجابات عليه سوى مجموعة أقوال غير قطعية، وإنما ظنون لا ترقى إلى عظيم شخصه وعلو محله، وهي كالآتي:

أولاً: إن يكفيه الله تعالى ما يمكن أن يكون أعظم مما نزل عليه من ضرب السيوف وطعن الرماح ألا وهو التعرض لحرمه أمام عينه، لاسيما وأن الأعداء قد استباحوا ما هو أعظم عند الله تعالى وهو سفك دمه وهم يعلمون أنه حجة الله وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ثم لا يتناهون عن منكرٍ يريدون أن يفعلوه؛ إلا أن التعرض لحرمه عليه السلام وأمام عينيه هو أعظم عليه مما نزل به في ساحة المعركة ولذا أراد أن يكفيه الله ما هو أعظم.

ومما يدل عليه:

إنه عليه السلام أشار إلى ذلك بنفسه في أثناء قتالهم حينما حالوا بينه وبين حرمه، فصاح بهم:

«يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون».

فناداه شمر (لعنه الله): ما تقول يابن فاطمة؟

قال عليه السلام:

«أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم وجهالكم وطغاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً».

فقال شمر: لك هذا، ثم صاح إليكم عن حرم الرجل فاقصدوه في نفسه، فلعمري لهو كفو كريم[1].

ثانياً: أن يكفيه الله تعالى حفظ الإمام زين العابدين عليه السلام وسلامته من القتل على يد أعدائه مما يؤدي إلى خلو الأرض من حجة الله تعالى، فضلاً عن قطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثاً: أن يكفيه الله حفظ جسده وأجساد الشهداء من الحرق فهؤلاء القوم لا يتوانون عن أي جريمة؛ وخير شاهد على ذلك تقطيع الرؤوس بعد القتل وحملها وسحق جسد الإمام الحسين عليه السلام بحوافر الخيل.

رابعاً: أن يكفيه حفظ أطفاله وبناته وأخواته من القتل حرقاً حينما أحرقت الخيام، وحفظهم من الهلاك حتى الوصول إلى المدينة.

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٤٥، ص٥١. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للشيخ البحراني: ص٢٩٣.

خامساً: أن يكفيه حفظ الأجساد من الهوام والدواب من أن تعبث بها لاسيما وقد بقيت ثلاثة أيام حتى دفنت.

سادساً: أن يكفيه حفظ نهضته وتضحيته وإحياء سيرة جده وأبيه علي بن أبي طالب وحفظ شيعتهما.

سابعاً: أن يكفيه هلاك عدوه وتهالكه وتصدع ملكه على مر التاريخ.

ثامناً: أن يكفيه التعجيل في إحقاق الحق وظهور العدل والأخذ بالثار الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وهو ولده الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فيكون محفوظاً سالماً معافى يمكن الله له الأمر.

وغيره الكثير لم يهتدِ إليه القلب ولم يرَه العقل فلا نعلم مااحتوته تلك المناجاة الملكوتية مع الله جل شأنه لاسيما وأن سيد الشهداء عليه السلام ينكشف له الملكوت فكيف إذا كان متشحطا بدمه غارقاً في بحر الجلالة والهيبة مستأنسا بالجمال واللطف الإلهي، مرتكزاً في نواة العبودية والتذلل والخضوع لرب الأرباب وجبار السموات والأرض محيطا بأفلاك أعمال ما دونه من العباد ناظرا إلى أحوالهم فبين قائم وراكع وساجد وشاخص ومذهول ومجلل ومبهور وضاج وباك وملتمس، وغير ذلك مما أعطاه الله لوليه وخصه به من كونه خامس أهل الكساء ومهجة قلب سيدة النساء وريحانة خاتم الأنبياء وقرة عين خير الأوصياء وأبا الأئمة النجباء، فضلاً عن كونه حجة الله على خلقه وسيد الشهداء الذين مضوا في سبيل ربهم.

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

المبحث الثالث: مبحث اجتماعي: الإمام الحسين عليه السلام وحق القومية العربية

قال عليه السلام :

«اللهم احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا...».

المسألة الأولى: ما هي القومية؟

إنّ من الحقوق الاجتماعية التي حظيت باهتمام القرآن والعترة النبوية هو حق القومية، إلاّ أنها؛ أي القومية؛ تناولها القرآن الكريم بمعنى آخر غير الذي اتخذه الفكر السياسي والعلماني والماركسي.

إذ ينطلق القرآن من كون العقيدة الدينية (الإسلامية) هي صاحبة الحق في حفظ العلاقات الاجتماعية وما يترتب على هذه الاجتماعات الإنسانية من حقوق وواجبات وإن كانوا من أعراق وأقوام مختلفة.

فيما ذهبت القومية السياسية اليوم إلى مفاهيم مغايرة لما جاء به القرآن الكريم والسنة المحمدية في وضع مفهوم محدد المعالم واضح الدلالة، وهو الأمر الذي يمكن ملاحظته بشكل جلي من خلال التعاريف التي عرّفت بها القومية.

يقول كارلتون هيس: (القومية تمثل مجموعة من الناس مستقلة سياسياً، ويربط بينها تصور كوني وتراث حضاري مشتركين)، وفي هذا التعريف يعد الوضع السياسي المشترك، والوحدة الحضارية، المقوم الأصلي للقومية[1].

ويقول هانس كوهن: (إنّ التعايش الجماعي على أرض واحدة يشكل

(١) الإسلام والقومية، د. علي محمد النقوي: ص٦٣.

عاملاً لتكوين (القومية) وإن النشوء في محيط طبيعي وجغرافي واحد يشكل أكبر ترابط قومي بين الأفراد، وتكوّن الجماعات التي تفكر بمصالحها المشتركة ــ على هذا الأساس ـ قومية واحدة)[١].

بينما يقول بوبغي: (إنّ القومية عبارة عن مجموعة من الأفراد الذين تربطهم عوامل التراب والدم واللغة أو الحضارة والتأريخ)[٢].

وحول خصائص (القومية) يقول كوهن:

(ويعتبر الشعور العميق تجاه الوطن والوفاء المطلق له والاحساس بوجوب المساهمة في تقرير المصير أساساً للقومية، والقومية تكون أصيلة عندما لا يكون أي عامل قادراً على تجريد الإنسان من وفائه للوطن)[٣].

وجاء في موسوعة المعارف الأميركية بصدد تعريف القومية:

(من المفاهيم الأصلية للقومية هو الوفاء والتعلق بـ(الوحدة القومية) قبل التبعية لأي شيء آخر أما الخصائص الأخرى للقومية فهي التفاخر بمكتسبات الشعب، والإيمان الراسخ بمظاهره، وحتى بتفوقه على سائر الشعوب الأخرى)[٤].

فهذه أبرز التعريفات في القومية؛ وقد قام الدكتور علي النقوي بتحليل هذه التعاريف فخلص إلى أمرين أوضح فيهما خصائص القومية.

---

(١) الإسلام والقومية، د. علي محمد النقوي: ص٦٣، ٦٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

أولا : (منح الأصالة للأرض) و(الدم) أو (اللغة) وعدّها أساس القومية بدلاً من الوحدة على أساس (العقيدة) و(الفكر) فحملة راية القومية يعتقدون أن الوحدة يجب أن تقوم على أساس اللغة والأرض والعنصر، (فالوطن) و(القومية) هما محور (الالتزام) و(التعصب).

ثانيا : (اعتبار الوفاء للوطن والإخلاص له والتعلق به محوراً أساسياً، بينما التعلق بـ(الخالق) و(الدين) و(العقيدة) فرعا، على أن لا يخل أي تعلق أو (تبع) بالتعلق والتعصب الوطنيين، ويجب عند أي تعارض بين المشاعر الدينية والمشاعر الوطنية، اعطاء الاسبقية للمشاعر الوطنية)[1].

في حين ينص القرآن على أن الولاء والأسبقية تكون لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأن المشاعر الوطنية تكون خاضعة للتقوى وليس العكس.

ولقد استفاد مروجو الفكر القومي من الفترات الاستعمارية التي عصفت بمختلف الشعوب ولاسيما العربية، مستغلين بذلك المشاعر الإنسانية الرافضة للاستعباد والذل والاستعمار فسخرت هذه المشاعر على هيئة حركات التحرر من الاستعمار لغرض وصولها إلى سدة الحكم وفرض مفاهيمها على الناس والتحكم باقتصادهم وتغيير أنماط ثقافاتهم الدينية كي يتسنى لهم البقاء في السلطة.

ولقد عملت هذه الحركات على ترسيخ شعور التحرر القومي وثقافة حب الوطن المحدود بالأرض والعرق واللغة في أبناء تلك الرقع الجغرافية (الوطن) كي تقطع الطريق على سريان الثقافة القرآنية في حدود تلك المساحات الرقعية التي فرضتها متغيرات المطامع الاستعمارية في مختلف بقاع الأرض.

---

(١) الاسلام والقومية، د. علي محمد النقوي: ص٦٥، ٦٦.

والغريب في (القومية) السياسية الاجتماعية أنها تنطلق و(الاستعمارية) من بوتقة واحدة، وذلك أن (القومية) تغلغلت في الأوساط الاجتماعية بأداة أحقيتها بالأرض والعرق فيلزم محاربة الدخيل وإخراجه ومنعه من السيطرة على موارد الوطن.

والاستعمارية عملت على تنمية هذا الفكر وترويجه وترسيخه في أبناء الوطن كي تنشب فيما بينهم الصراعات القائمة على الإحساس بأحقية هذا العرق بـ(الوطن) عن غيره وإنهم هم أبناء هذا (الوطن) والآخرين الذين يختلفون عنهم لغة وعرقا وثقافة ولوناً غرباء.

ومن هنا نشأت حركات (تحررية) لأقليات مختلفة في كثير من البلاد التي تحتضن على أرضها أقليات وأعراقاً وثقافات ولغات متعددة.

ولذلك: نرى أن هذه الأقليات كانت في حركتها التحررية ضد المستعمرين الأجانب القادمين من الشرق أو الغرب تقاتل جنباً إلى جنب فما أن لبثت بعد خروج المستعمر أن تتقاتل مع بعضها وترى أحقيتها فيما تسكن من الأرض؛ وهي بذاك تقدم بطاقة دعوة جديدة للمستعمر بعد أن أصبحت إلى أقليات وأقاليم فضلاً عن استعانة هذه الأقليات بجهات خارجية تتفق معها ضمن معاهدات مصالحيّة مقابل توفير الدعم اللوجستي لها كي تبقى في الحكم.

وبالتالي: أصبح الوطن الواحد مجموعة أوطان، بل أصبح مفهوم الوطن، مفهوماً ليس له دلالة يمكن قراءتها، وهو أشبه باللغز الذي يحتاج إلى عبقري لم يولد بعد لفكه وتبسيطه كي يفهمه المواطن ويدرك معنى أن له وطناً.

إذن: أصبح لدينا شعور سايكوسوسيولوجي (نفسي اجتماعي) يتمحور حول العصبية لينسلخ من الوطنية والوطن ويتحول إلى الأنانية والتميز والاستعلاء، وهي أسس تكون التجمعات المتطرفة التي لا ترضى بغير أبناء جلدتها أن تعيش فيها يسمونه الوطن، وأن غيرهم لا يستحقون المواطنة ولذا فهم غرباء وينبغي أن لا يتمتعوا بالحقوق المواطنية التي ينالها أبناء الأرض والعرق.

تلك المعالم يمكن ملاحظتها بشكل واضح في العرض القرآني لمعتقدات اليهود (القومية) والتي ما فتئت تروج لها وتسوقها إلى شعوب الأرض ليتسنى لها الحاكمية على غيرها من المجتمعات بلحاظ كونهم المختارين للحياة على هذا الكوكب.

قال عزّ وجل:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾[١].

لقد جرّ الشعور بالأنانية والعصبية القومية إلى الرفض لما جاء به القرآن وعدم النظر إليه بعدّه كتاباً سماوياً لا يختلف من حيث الصدور والقداسة والشرعية عن الإنجيل والتوراة، فلو كان هؤلاء يؤمنون بما نزل عليهم من التوراة عن الله تعالى لم يكن لهم أن ينكروا ما أنزل الله في غير التوراة، فالمشرع واحد وهو الله تعالى والتوحيد والإيمان به تعالى يلزم المؤمن الاعتقاد بما يرد في التوراة والإنجيل والقرآن من حيث كون المشرع واحداً.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩١.

إذن: لا يجتمع الإيمان بالله تعالى وبما أنزل في التوراة مع تكذيب غيره من الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى.

بعبارة أخرى:

(لو كان الانصياع للأوامر الإلهية متوقفا على نزولها عليهم فهو الشرك لا الإيمان، وهو الكفر لا الإسلام، ومثل هذا الانصياع ليس بدليل على الإيمان قط)[1].

في حين يأتي القرآن الكريم فيقدم الدليل الذي يعري هذا الادعاء ويكشف زيفه فيقول:

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[2].

بمعنى لو أنكم صادقون فيما ادعيتم بالإيمان بما نزل عليكم فلماذا اتخذتم العجل من بعد موسى وأنتم ظالمون.

فهذا الفكر القومي والتعصبي سرى تلوّثه في المجتمع العربي ولاسيما المكي والمدني قبل البعثة النبوية وبعدها بفعل اتخاذ بعض العرب الديانة اليهودية معتقداً ليجد هذا التعصب البيئة المناسبة لنموه وانتشاره عند العرب الذين عرفوا بتعصبهم القبلي حتى بات العرب يطلقون على كل من لم ينطق العربية بالأعجمي.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة الاجتماعية فقال:

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج١، ص٢٩٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٢.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾[١].

فالعصبية القومية هي التي كانت ستمنعهم من الإيمان بالقرآن لو أنزله الله تعالى على رسول غير عربي.

في حين تلاشى هذا الشعور التعصبي فيما بعد بفعل الجهود التي بذلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في محو هذه الترسبات التي زخرت بها ثقافة الجاهلية من نفوس الكثير منهم فأصبح الوطن الجغرافي والقومية يحل محلهما (العالمية) لقوله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢].

وقوله عزّ وجل:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾[٣].

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٨، ١٩٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

وأصبحت القومية ذائبة في (الإنسانية) فكلكم لآدم وآدم من تراب.

كما قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**»[(١)].

وأصبح سلمان الفارسي من أشرف بيوتات العرب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**سلمان منا أهل البيت**».

وفي قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[(٢)].

إلا أن العصبية والقومية لم تكن لتزول من قلوب المنافقين؛ وهو أمر بديهي لكونهم لم يؤمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولقد تحدث التاريخ عن أولئك القوميين المتعصبين في مواطن كثيرة منها:

ما رواه المؤرخون والمفسرون في غزوة بني المصطلق: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج إلى بني المصطلق على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قدير إلى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا قتالا شديدا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم الله.

وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر يقال له هشام بن صبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت

---

(١) كنزل العمال ج٣، ص٦٩٩، ح٨٥٠٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ، فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد يقود له فرسه، فازدحم جهجاه وسنان الجهني حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن، فقال: أقد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما عدونا وجلابيب قريش ما قال القائل (سمن كلبك يأكلك) أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عدوه فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب، فقال يا رسول الله مر به عباد بن بشر بن وقش فليقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟ لا ولكن أذن بالرحيل».

وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أُبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال ولا تكلمت به. وكان عبد الله بن أُبي في قومه شريفا عظيما فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من

أصحابه من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل؛ حدبا على عبد الله بن أُبي ودفعا عنه. فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه تحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟».

قال وأي صاحب يا رسول الله؟ قال:

«عبد الله بن أُبي».

قال وما قال، قال:

«زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل».

قال: أسيد فأنت والله يا رسول الله تخرجه أنت إن شئت، هو والله الذليل، وأنت العزيز؛ ثم قال: يا رسول الله أرفق به فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا)[1].

والحادثة تدل بوضوح على رسوخ العصبية والقومية في نفوس المنافقين وإنهم يرون أحقيتهم (بالوطن) المدينة وإن المهاجرين هم غرباء على وطنهم ولذا: ليس لهم الحق في البقاء، بل يجب إخراجهم منها، كما توعدهم عبد الله بن أبي وهذا أولاً.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص٢٦٠، ٢٦١. صحيح البخاري: ج٦، ص٦٦. فتح الباري لابن حجر: ج٨، ص٤٩٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٥، ص١٨٩. تفسير الثعلبي: ج٩، ص٣٢١.

ثانيا: تصنيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم وهم المتحدثون بالعصبية القومية بـ(الجاهلية) التي لم تؤمن بالإسلام وهذا يدل على أن القومية تتعارض مع العقيدة الدينية التي جاء بها القرآن.

ثالثا: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتخذ إجراء عقابياً ضد هؤلاء القوميين، بل لم يسقط عنهم الصحبة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن الخطاب:

«**لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**»(١).

رابعا: إنّ هذه السمة (الصحبة) لم تتأثر بمثل هذه التجاوزات على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلقد استغل هؤلاء المنافقون حكمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرصه على حفظ الإسلام ووحدة المسلمين واستجلاب غيرهم من الناس إليه فصبر صلى الله عليه وآله وسلم على هؤلاء المنافقين حينما لم يسقط عنهم سمة (الصحبة) فانعكس ذلك بشكل ملموس على سير الأحداث بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم حتى وصل التعصب القومي والجاهلي إلى الأخذ بالثأر لمن ماتوا من الكفار والمشركين في معركة بدر والأحزاب وحنين وغيرها.

وهو الأمر الجلي الذي نطق به يزيد بن معاوية حينما وضع أمامه رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ ينكت بعصاه شفتي الإمام الحسين عليه السلام وهو يتمثل بأبيات ابن الزبعرى فيضفي عليها أبياته القومية والعصبية شامتاً ومتشفياً ممن قتلوا أشياخه في بدر وحنين فيقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	**جزع الخزرج من وقع الأسل**
لأهلوا واستهلوا فرحا	**ولقالوا يا يزيد لا تشل**

(١) صحيح البخاري، تفسير سورة المنافقون: ج٦، ص٦٦.

فجزيناه ببدر مثلا وأقمنا ميل بدر فاعتدل

لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل(١)

المسألة الثانية: الإمام الحسين عليه السلام يلزم خصمه بما يؤمن به في القومية

ونتيجة لما تقدم نجد الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه يحتج على خصمه في دعائه إلى الله تعالى حتى في هذه الحقوق التي ألزموا بها أنفسهم، وإن كانوا يخالفون فيها القرآن ألا وهي القومية؛ ليظهر لجميع طبقات الناس وعلى اختلاف الأزمنة أن شيعة آل أبي سفيان لم يكن لهم أي صدق فيما يقولون أو يفعلون حتى إيمانهم بالجاهلية وتمسكهم بالقومية، فهم الكاذبون الخاذلون الغادرون القاتلون، وهو ما احتوته تلك الفقرة من دعائه عليه السلام حيث قال:

«أللهم احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ونحن عترة نبيك وولد حبيبك...».

وهو أسلوب اتبعه القرآن وانتهجه الأنبياء عليهم السلام في محاجة أقوامهم وإن كانوا غير مؤمنين بهم بما يعتقده قومهم من فكر قومي وتعصبي، ولذا كانوا ينادونهم بيا قومنا.

---

(١) الأخبار الطوال، للدينوري: ص٢٦٧. تاريخ الطبري: ج٨، ص١٨٧. بلاغات النساء لابن طيفور: ص٢١. الوافي بالوفيات، للصفدي: ج٧، ص٥٨. البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٢٠٩. الفتوح لابن أعثم الكوفي: ج٥، ص١٢٩. الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣٤. جواهر المطالب لابن الدمشقي: ج١، ص١٥. ينابيع المودة للقندوزي: ج٣، ص٣١.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(١).

وقال عزّ وجل:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾(٣).

وقال الله تبارك وتعالى:

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾(٤).

وقال عزّ وجل:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾(٥).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٧٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٩٣.

(٥) سورة هود، الآية: ٧٨.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾(١).

وقال عزّ وجل:

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾(٢).

وقوله تعالى:

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾(٣).

فهذه الآيات وغيرها تدل على استخدام الأنبياء عليهم السلام منهاج الخطاب القومي لأبناء أقوامهم، ولكن ليس الغرض منه الاعتقاد بالقومية السياسية كعقيدة (تؤمن بالتراب، والدم، واللغة) وتقديمها على المعتقد الديني؛ وإنما لكونهم بعثوا فيهم وكلفوا بإبلاغهم وتعليمهم شريعة الله تعالى.

فهذا نبي الله إبراهيم ولد في العراق وكلف بالرسالة فيه، ثم خرج إلى المقدس فهل يلزم إرجاعه إلى العراق وحصر التبليغ فيه؟! وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد في مكة وبعث فيها فهل يلزم انحصاره فيها؟!.

---

(١) سورة هود، الآية: ٩٢.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٦.

إذن: ليس الخطاب القومي عند الأنبياء عليهم السلام يدل على الفكر القومي بالمفهوم السياسي والاجتماعي، وإنما هذا الخطاب بتلك الحيثيات (التعصبية والقومية) نراه قد برز في الإعلام الأموي، بل لقد عملوا جاهدين على تثبيته في أذهان المسلمين حينما قدموا ببنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحفاده من كربلاء إلى الشام.

فلقد أذاعوا بين الناس أن هؤلاء هم خوارج وأظهروا فيهم المذلة والمهانة، وساقوهم إلى طاغية الشام كما تساق الديلم والترك، مما جعل الإمام زين العابدين عليه السلام يصحح الصورة في أذهان الناس، ويعرفهم أننا من أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ولسنا من أبناء ملة أخرى أو أتباع قوم آخرين بل: نحن أبناء قومكم وإن هذا الفكر التعصبي والجاهلي هو صناعة المنافقين وحكام بني أمية وأشياعهم الذين لا يؤمنون بدين ولا يلتزمون بحرمة ولا ينتهون عن فاحشة فلا العرب يصانون ولا العجم يسلمون.

إذن: قوله عليه السلام:

«**اللهم احكم بيننا وبين قومنا**».

كان لغرض إلزامهم بما ألزموا به أنفسهم من فكر قومي وأنه ابن قومهم عربي مكي مدني، وليس من الترك أو الديلم؛ ولذا فهو له حقوق قومية عليهم تلزمهم بصونه وسلامته وعدم المس بكرامته، فله ما لهم من حقوق المواطنة التي ينادون بها.

إلا أنهم بفعلهم هذا قد أثبتوا للتاريخ أنهم لا يتناهون عن منكر فعلوه وأن جميع الحقوق عندهم مباحة، لأنهم لا يؤمنون بأن لبني الإنسان حقوقاً فجميع الحرمات منتهكة عند آل بني سفيان وأشياعهم.

المبحث الرابع: مبحث عقائدي، الجذور التاريخية لإسقاط حق العترة وإبطال بنوة الحسن والحسين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال عليه السلام:

«ونحن عترة نبيك، وولد حبيبك محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي اصطفيته بالرسالة وائتمنته على الوحي».

يتضمن هذا المقطع من دعاء الإمام الحسين عليه السلام مسائل عقائدية في غاية الأهمية لاسيما وهو في خاتمة دعائه الملكوتي إلى الله تعالى والذي ــ بحسب آداب الدعاء الواردة عنهم عليهم السلام ــ يكون فيه ذكر الحاجة.

ولذا ينتقل ــ بأبي وأمي ــ شيئا فشيئا إلى بيان المسائل العقائدية التي تكون دروساً بل ومنهاجاً للسالكين طريق الآخرة، فضلاً عن بيان مساوئ الطريق الآخر، فيذكر هذه القيم والمسائل العقائدية ليتضح معها قبح مسالك الظالمين.

المسألة الأولى: من هم عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ وما الفرق بين العترة والآل والأمة؟

قال عليه السلام بعد عرضه لشكواه وبيان ما ارتكبه الأعداء من جرائم بحقه:

«اللهم احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا».

ينتقل عليه السلام من طلبه للحكم بينه وبين قومه إلى بيان حرمته عند الله تعالى وذلك من خلال ارتباطه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتباطاً تعددت مقاماته وتعاظمت معها حرمته، لغرض أن يكون الحكم الإلهي ناظراً إلى انتهاك هذه الحرمة العظيمة.

فمن هم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وما لهم من الحرمة عند الله تعالى كي يقدمها الإمام الحسين عليه السلام بين يدي شكواه إلى ربه ويطالب بمعاقبة من تعدى على هذا المقام وانتهك هذه الحرمة؟.

أولاً: العترة في اللغة

قالوا في اللغة، عترة الرجل: أصله، وعترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمه[1].

وقال أبو هلال العسكري: الفرق بين العترة والآل: أن العترة على ما قال المبرد: النصاب ومنه عترة فلان أي منصبه؛ وقال بعضهم: العترة أصل الشجرة الباقي بعد قطعها، قالوا فعترة الرجل أصله وقال غيره: عترة الرجل أهله وبنو أعمامه الأدنون؛ واحتجوا بقول أبي بكر عن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعني قريشا فهي مفارقة للآل على كل قول لأن الآل هم الأهل والأتباع والعترة هم الأصل في قول والأهل وبنو الأعمام في قول آخر[2].

وقال ابن منظور:

عترة الرجل أقرباؤه من ولده وغير، وقيل: هم قومه دنيا، وقيل: هم رهطه وعشيرته الأدنون من مضى منهم ومن غير.

ومنه قول أبي بكر: نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، التي خرج منها وبيضته التي تفقأت عنه، وإنما جيبت العرب عنا كما جيبت الرحى عن قطبها،

(١) كتاب العين للفراهيدي: ج٢، ص٦٦.

(٢) الفروق اللغوية، العسكري: ص٣٥٠.

قال ابن الأثير: لأنهم من قريش، والعامة تظن أنها ولد الرجل خاصة وأن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولد فاطمة عليها السلام، هذا قول ابن سيده.

وقال الأزهري، وفي حديث زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم الثقلين خلفي: كتاب الله وعترتي فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض».

وقال: قال محمد بن إسحق وهذا حديث صحيح ورفعه نحوه زيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري، وفي بعضها: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فجعل العترة أهل البيت.

وقال أبو عبيد وغيره: عترة الرجل وأسرته وفصيلته رهطه الأدنون، ابن الأثير: عترة الرجل أخص أقاربه، وقال ابن الأعرابي: العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه، قال: فعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولد فاطمة البتول عليها السلام.

وروي عن أبي سعيد قال: العترة ساق الشجرة، قال: وعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عبد المطلب وولده، وقيل: عترته أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده.

وقيل: عترته الأقربون والأبعدون منهم، وقيل: عترة الرجل أقرباؤه من ولد عمه دنيا، ومنه حديث أبي بكر، قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، حين شاور أصحابه في أسارى بدر: عترتك وقومك، أراد بعترته العباس ومن كان فيهم من بني هاشم، وبقومه قريشا.

والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته، وهم الذين حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة، وهم ذوو القربى الذين لهم الخمس المذكور في سورة الأنفال[١].

والظاهر أن السبب في كثرة هذه الأقوال عند اللغويين يعود إلى الفكر السياسي الذي دخل في المفاهيم الدينية فتم على أثر ذلك مغالطة كثير من الحقائق وتعتيم كثير من الآيات والأدلة، لغرض صرف الناس عن معرفة أهل البيت عليهم السلام والالتحاق بهم والسير بهديهم، وهو ما لا يتناسب مع المطامع السلطوية والأمراض القلبية كالنفاق والحسد والبغض.

ولقد انتشرت هذه الأقوال في البلاد الإسلامية قديماً وحديثا وحملها كثير من الناس حتى ظن ظان أن جميع أبناء قريش هم أقرباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن أصحابه عترته على الرغم من أن فيهم المنافقين كما مرّ في المبحث السابق فضلاً عن وصفه صلى الله عليه وآله وسلم للمنافقين بالأصحاب كما نص البخاري حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»[٢].

وقد قالها في حق الصحابي المنافق عبد الله بن أُبي.

وعليه:

يلزم الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام لمعرفة الحق من الباطل، وكيفية الخروج من الشبهات، وهو ما سنتناوله في ثانياً.

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ج٤، ص٥٣٨.

(٢) صحيح البخاري، تفسير سورة المنافقون: ج٦، ص٦٦.

ثانيا: الإمام الرضا عليه السلام يزيل الشبهات عن معنى العترة في مجلس المأمون العباسي

هذا الأمر قد حدث في زمن الخليفة العباسي المأمون حينما حضر عنده جمع من علماء المسلمين من العراق وخراسان فوجهوا بعض الأسئلة إلى الإمام الرضا عليه السلام حول معرفة العترة والآل.

فقد روى الشيخ الصدوق ـ طيب الله ثراه ـ عن الريان بن الصلت، قال: (حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1].

فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام:

«**لا أقول كما قالوا ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة**».

فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام:

«**انه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عز وجل:**

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[2].

ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل:

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ ﴾(١).

فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم».

فقال المأمون: مَن العترة الطاهرة؟.

فقال الرضا عليه السلام:

«**الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل:**

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾(٢).

وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفون فيهما أيها الناس لا تعلموهم فإنهم اعلم منكم».

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل أم غير الآل؟.

فقال الرضا عليه السلام:

«**هم الآل**».

فقالت العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤثر عنه أنه قال:

«**أمتي آلي**».

وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه آل محمد أمته.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

فقال أبو الحسن الرضا عليه السلام:

«أخبروني فهل تحرم الصدقة على الآل».

فقالوا: نعم، فقال عليه السلام:

«فتحرم على الأمة».

قالوا: لا، فقال عليه السلام:

«هذا فرق بين الآل والأمة ويحكم أين يذهب بكم أضربتم عن الذكر صفحا أم أنتم قوم مسرفون أما علمتم انه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟».

قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟.

فقال عليه السلام:

«من قول الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[١].

فصارت وراثة النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين أما علمتم أن نوحا حين سأل ربه عز وجل:

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[٢].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٥.

وذلك أن الله عز وجل وعده أن ينجيه وأهله فقال ربه عز وجل:

﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَـٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَـٰهِلِينَ ﴾[١].

فقال المأمون: هل فضّل الله العترة على سائر الناس؟، فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إن الله عز وجل أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه».

فقال له المأمون: وأين ذلك من كتاب الله؟ فقال له الرضا عليه السلام:

«في قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

وقال عز وجل في موضع آخر:

﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَـٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾[٣].

ثم رد المخاطبة في اثر هذه إلى سائر المؤمنين فقال:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[٤].

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.

يعنى الذي قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهما فقوله عز وجل:

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[1].

يعنى الطاعة للمصطفين الطاهرين فالملك ههنا هو الطاعة لهم».

فقالت العلماء: فأخبرنا هل فسر الله عز وجل الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام:

«**فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطنا وموضعا، فأول ذلك قوله عز وجل:**

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[2].

ورهطك المخلصين هكذا في قراءة أبي بن كعب وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الآل فذكره لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذه واحدة. والآية الثانية في الاصطفاء قوله عز وجل:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

وهذا الفضل الذي لا يجهله أحد إلا معاند ضال لأنه فضل بعد طهارة تنتظر فهذه الثانية.

وأما الثالثة فحين ميز الله الطاهرين من خلقه فأمر نبيه بالمباهلة بهم في آية الابتهال فقال عز وجل: يا محمد:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

فبرز النبي صلى الله عليه وآله وسلم **عليا والحسن والحسين وفاطمة** صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين **وقرن أنفسهم بنفسه فهل تدرون ما معنى قوله:** ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾.

قالت العلماء: عنى به نفسه، فقال أبو الحسن عليه السلام:

لقد غلطتم إنما عنى بها علي بن أبي طالب عليه السلام **ومما يدل على ذلك قول النبي** صلى الله عليه وآله وسلم**: حين قال: لينتهين بنو وليعة، أو لأبعثن إليهم رجلا كنفسي يعنى علي بن أبي طالب** عليه السلام **وعنى بالأبناء الحسن والحسين** عليهما السلام **وعنى بالنساء فاطمة** عليها السلام **فهذه خصوصية لا يتقدمهم فيها أحد وفضل لا يلحقهم فيه بشر وشرف لا يسبقهم إليه خلق إذ جعل نفس علي** عليه السلام **كنفسه فهذه الثالثة.**

وأما الرابعة فإخراجه صلى الله عليه وآله وسلم **الناس من مسجده ما خلا العترة حتى تكلم الناس في ذلك وتكلم العباس فقال: يا رسول الله: تركت**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

عليا وأخرجتنا؟، فقال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: ما أنا تركته وأخرجتكم ولكن الله عز وجل تركه وأخرجكم وفي هذا تبيان قوله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لعلي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى.

قالت العلماء: وأين هذا من القرآن؟، قال أبو الحسن عَلَيْهِٱلسَّلَامُ:

أوجدكم في ذلك قرآنا واقرأه عليكم.

قالوا: هات، قال عَلَيْهِٱلسَّلَامُ:

قول الله عز وجل:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾[1].

ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى وفيها أيضا منزلة علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ من رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ ومع هذا دليل واضح في قول رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ حين قال: ألا إن هذا المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ وآله.

قالت العلماء: يا أبا الحسن هذا الشرح والبيان لا يوجد إلا عندكم معاشر أهل بيت رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، فقال عَلَيْهِٱلسَّلَامُ:

ومن ينكر لنا ذلك ورسول الله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها؟! ففيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والاصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند ولله عز وجل الحمد على ذلك فهذه الرابعة.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٨٧.

والآية الخامسة قول الله عز وجل:

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾(١).

خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأمة فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ادعوا إلي فاطمة فدعيت له فقال: يا فاطمة قالت: لبيك يا رسول الله فقال: هذه فدك مما هي لم يوجف عليه بالخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين وقد جعلتها لما أمرني الله تعالى به فخذيها لك ولولدك فهذه الخامسة.

والآية السادسة قول الله عز وجل:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾(٢).

وهذه خصوصية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة وخصوصية للآل دون غيرهم وذلك أن الله عز وجل حكى في ذكر نوح في كتابه:

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾(٣).

وحكى عز وجل عن هود أنه قال:

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٢٩.

وقال عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: قل يا محمد:

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1].

ويفرض الله تعالى مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبدا ولا يرجعون إلى ضلال أبدا وأخرى أن يكون الرجل وادا للرجل فيكون بعض أهل بيته عدوا له فلا يسلم له قلب الرجل فأحب الله عز وجل أن لا يكون في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنين شيء ففرض عليهم الله مودة ذوي القربى فمن أخذ بها وأحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحب أهل بيته عليهم السلام لم يستطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبغضه ومن تركها ولم يأخذ بها وأبغض أهل بيته فعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبغضه لأنه قد ترك فريضة من فرائض الله عز وجل فأي فضيلة وأي شرف يتقدم هذا أو يدانيه؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2].

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إن الله عز وجل قد فرض لي عليكم فرضا فهل أنتم مؤدوه؟

فلم يجبه أحد فقال:

يا أيها الناس انه ليس من فضة ولا ذهب ولا مأكول ولا مشروب فقالوا: هات إذاً فتلا عليهم هذه الآية فقالوا:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

أما هذه فنعم فما وفى بها أكثرهم وما بعث الله عز وجل نبيا إلا أوحى إليه أن لا يسال قومه أجرا لأن الله عز وجل يوفيه أجر الأنبياء ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فرض الله عز وجل طاعته ومودة قرابته على أمته وأمره أن يجعل أجره فيهم ليؤدوه في قرابته بمعرفة فضلهم الذي أوجب الله عز وجل لهم فإن المودة إنما تكون على قدر معرفة الفضل فلما أوجب الله تعالى ذلك ثقل ذلك لثقل وجوب الطاعة فتمسك بها قوم قد أخذ الله ميثاقهم على الوفاء وعاند أهل الشقاق والنفاق وألحدوا في ذلك فصرفوه عن حده الذي حده الله عز وجل فقالوا:

القرابة هم العرب كلها وأهل دعوته فعلى أي الحالتين كان فقد علمنا أن المودة هي للقرابة فأقربهم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاهم بالمودة وكلما قربت القرابة كانت المودة على قدرها وما انصفوا نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم في حيطته ورأفته وما منَّ الله به على أمته مما تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه أن لا يؤذوه في ذريته وأهل بيته وان يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس حفظا لرسول الله فيهم وحبا لهم فكيف؟!

والقرآن ينطق به ويدعو إليه والأخبار ثابتة بأنهم أهل المودة والذين فرض الله تعالى مودتهم ووعد الجزاء عليها فما وفى أحد بها فهذه المودة لا يأتي بها أحد مؤمنا مخلصا إلا استوجب الجنة لقول الله عز وجل في هذه الآية:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ

عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[1].

مفسرا ومبينا ثم قال أبو الحسن عليه السلام: حدثني أبي عن جدي عن آبائه عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا:

إن لك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مؤنة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود وهذه أموالنا مع دمائنا فاحكم فيها بارا مأجورا اعط ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج قال:

فأنزل الله عز وجل عليه الروح الأمين فقال: يا محمد:

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[2].

يعني أن تودوا قرابتي من بعدي فخرجوا فقال المنافقون:

ما حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على قرابته من بعده إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه، وكان ذلك من قولهم عظيما فأنزل الله عز وجل هذه الآية:

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3].

فبعث عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هل من حدث؟ فقالوا:

---

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٨.

أي والله يا رسول الله لقد قال بعضنا: كلاما غليظا كرهناه فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآية فبكوا واشتد بكاؤهم فأنزل عز وجل:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

فهذه السادسة.

وأما الآية السابعة فقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2].

قالوا: يا رسول الله قد عرفنا التسليم فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد مجيد فهل بينكم معاشر الناس في هذا خلاف؟ فقالوا: لا.

فقال المأمون: هذا مما لا خلاف فيه أصلا وعليه إجماع الأمة، فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:

نعم أخبروني عن قول الله عز وجل:

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[3].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٣) سورة يس، الآيات: ١، ٢، ٣.

فمن عنى بقوله يس؟

قالت العلماء: يس محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يشك فيه أحد، قال أبو الحسن عليه السلام:

فإن الله عز وجل أعطى محمدا وآل محمد من ذلك فضلا لا يبلغ أحد كنه وصفه إلا من عقله وذلك أن الله عز وجل لم يسلم على أحد إلا على الأنبياء صلوات الله عليهم فقال تبارك وتعالى:

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[1].

وقال:

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[2].

وقال:

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾[3].

ولم يقل: سلام على آل نوح ولم يقل: سلام على آل إبراهيم ولا قال: سلام على آل موسى وهارون وقال عز وجل:

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾[4].

يعني آل محمد صلوات الله عليهم.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٧٩.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٢٠.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٣٠.

فقال المأمون: لقد علمت أن في معدن النبوة شرح هذا وبيانه.

فهذه السابعة.

وأما الثامنة فقول الله عز وجل:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1].

فقرن سهم ذي القربى بسهمه وبسهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذا فضل أيضا بين الآل والأمة لأن الله تعالى جعلهم في حيز وجعل الناس في حيز دون ذلك ورضي لهم ما رضي لنفسه واصطفاهم فيه فبدأ بنفسه ثم ثنى برسوله ثم بذي القربى في كل ما كان من الفيء والغنيمة وغير ذلك مما رضيه عز وجل لنفسه فرضي لهم فقال وقوله الحق:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

فهذا تأكيد مؤكد واثر قائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الذي قال تعالى:

﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[2].

وأما قوله:

﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

فإن اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من الغنائم ولم يكن له فيها نصيب وكذلك المسكين انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم ولا يحل له أخذه، وسهم ذي القربى قائم إلى يوم القيامة فيهم للغني والفقير منهم لأنه لا أحد أغنى من الله عز وجل ولا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل لنفسه منها سهما ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم سهما فما رضيه لنفسه ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم رضيه لهم وكذلك الفيء ما رضيه منه لنفسه ولنبيه صلى الله عليه وآله وسلم رضيه لذي القربى كما أجراهم في الغنيمة فبدأ بنفسه جل جلاله ثم برسوله ثم بهم وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك في الطاعة قال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[1].

فبدأ بنفسه ثم برسوله ثم بأهل بيته كذلك آية الولاية:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾[2].

فجعل طاعتهم مع طاعة الرسول مقرونة بطاعته، كذلك ولايتهم مع ولاية الرسول مقرونة بولايته، كما جعل سهمهم مع سهم الرسول مقرونا بسهمه الغنيمة والفيء فتبارك الله وتعالى ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت؟! فلما جاءت قصة الصدقة نزه نفسه ورسوله ونزه أهل بيته فقال:

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1].

فهل تجد في شيء من ذلك أنه سمى لنفسه أو لرسوله أو لذي القربى، لأنه لما نزه نفسه عن الصدقة ونزه رسوله ونزه أهل بيته لا بل حرم عليهم، لأن الصدقة محرمة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله وهي أوساخ أيدي الناس لا يحل لهم لأنهم طهروا من كل دنس ووسخ فلما طهرهم الله عز وجل واصطفاهم رضي لهم ما رضي لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه عز وجل فهذه الثامنة.

وأما التاسعة فنحن أهل الذكر الذين قال الله عز وجل:

﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2].

فنحن أهل الذكر فاسألونا إن كنتم لا تعلمون.

فقالت العلماء: إنما عنى الله بذلك اليهود والنصارى، فقال أبو الحسن عليه السلام:

سبحان الله! وهل يجوز ذلك إذا يدعونا إلى دينهم ويقولون: إنه أفضل من دين الإسلام؟!.

فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوه يا أبا الحسن؟، فقال أبو الحسن عليه السلام:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

نعم الذكر رسول الله ونحن أهله وذلك بين في كتاب الله عز وجل حيث يقول في سورة الطلاق:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾[1].

فالذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أهله فهذه التاسعة.

وأما العاشرة فقول الله عز وجل في آية التحريم:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾[2].

فأخبروني هل تصلح ابنتي وابنة ابني وما تناسل من صلبي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوجها لو كان حيا؟

قالوا: لا، قال عليه السلام:

فاخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها لو كان حيا؟

قالوا: نعم، قال عليه السلام:

ففي هذا بيان لأني أنا من آله ولستم من آله ولو كنتم من آله لحرم عليه بناتكم كما حرم عليه بناتي لأني من آله وأنتم من أمته فهذا فرق بين الآل والأمة لأن الآل منه والأمة إذا لم تكن من الآل فليست منه فهذه العاشرة.

وأما الحادية عشرة فقول الله عز وجل في سورة المؤمن حكاية عن

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ١٠، ١١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣.

قول رجل مؤمن من آل فرعون:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[١].

إلى تمام الآية فكان ابن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يضفه إليه بدينه وكذلك خصصنا نحن إذ كنا من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بولادتنا منه وعممنا الناس بالدين فهذا فرق بين الآل والأمة فهذه الحادية عشرة.

وأما الثانية عشرة فقوله عز وجل:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٢].

فخصصنا الله تبارك وتعالى بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع الأمة بإقامة الصلاة ثم خصصنا من دون الأمة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجيء إلى باب علي وفاطمة عليها السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول: الصلاة رحمكم الله وما أكرم الله أحدا من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها وخصصنا من دون جميع أهل بيتهم.

فقال المأمون والعلماء: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الأمة خيرا فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلا عندكم)[٣].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج٢، ص٢٩٦ ـ ٢١٧.

إذن: أراد الإمام الحسين عليه السلام من تقديم حرمة العترة في دعائه هو إرجاع الناس إلى الجذور التاريخية لانتهاك حرمة العترة وإزالة اللبس الذي أدخله أبو بكر في يوم السقيفة حينما قال للأنصار: نحن عترة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجاء من بعده بنو أمية فأثبتوا هذه الشبهة في أذهان كثير من المسلمين كي تنصرف عن دين القرآن والعترة عليهم السلام وتتشبث بأخلاق الجاهلية ومفاهيمها فضلاً عن التعدي على القرآن والعترة ومحاربتها، ومن هنا: كان تقديمه عليه السلام لمقام العترة في دعائه بياناً للوقت الذي انتهكت فيه وما ترتب على ذلك من آثار ترجمت على أرض كربلاء.

المسألة الثانية: بنوة الحسن والحسين عليهما السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من الآيات القرآنية والنصوص النبوية التي غيّر مدلولها وحوّر مسار حكمها هي ما كانت تنص على بنوة الحسن والحسين عليهما السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والغرض من ذلك هو إثبات مقولة أبي بكر حينما جاءته بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تطالبه بإرجاع ميراثها من أبيها الذي صادره أبو بكر فقال لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«نحن معاشر الأنبياء لا نورث»(١).

وكأنه هو ولي مال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس ابنته فاطمة عليها السلام؟!.

ولا نعلم ما هي المناسبة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر ــ كما يدعي ــ بأن معاشر الأنبياء لا تورث؟ كأن لأبي بكر أرثاً عند رسول الله

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ج١٢، ص٦.

صلى الله عليه وآله وسلم؟!، فجاء يسأل عنه، أو مالاً للأنبياء عليهم السلام كان يكتنزه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخاف عليه أبو بكر فسأله عن ميراثهم؟!، ما هو سبب صدور هذا الحديث؟ لا أحد يعلم سوى أبي بكر، فضلاً عن ذلك:

فإن تغيير دلالة بنوة الحسن والحسين عليهما السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المعنى الحقيقي للفظ إلى المعنى المجازي بوصفهما ابنَي البنت يقلل من حرمة الدم التي بينهما ومن ثم: تكون الولاية في الأخذ بالثأر والقصاص من القتلة وغيرها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وليس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ أي قطع الحرمة فيما بينهما وبين النبي الأعظم بوصفهما ولديه، وهذا يدفع الجهال والأرذال والمنافقين إلى الاجتراء على أهل بيت النبوة عليهم السلام؛ ناهيك عن مصادرة حقهما في الخمس والميراث.

ولقد أشاع المخالفون للعترة النبوية عليهم السلام إبطال بنوة الحسن والحسين عليهما السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المسلمين وأجروا عليه أحكامهم في الميراث من جهة، ومن جهة أخرى صرف الأذهان عن تعلق حرمتهما وذريتهما بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حيث كونهما أبناءه وولده من صلبه.

إلا أن هذه الشبهات سرعان ما اطفئت بفضل بيان أئمة أهل البيت عليهم السلام للحقائق القرآنية التي تلزم العاقل وتلجم المنافق في كونهما عليهما السلام ولديه من صلبه صلى الله عليه وآله وسلم؛ ومنها:

١ـ روى الشيخ الكليني رحمه الله عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قال لي أبو جعفر عليه السلام:

«يا أبا الجارود ما يقولون لكم في الحسن والحسين عليهما السلام؟

قلت: ينكرون علينا أنهما إبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال عليه السلام:

فأي شيء احتججتم عليهم؟.

قلت: احتججنا عليهم بقول الله عز وجل في عيسى ابن مريم عليهما السلام:

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[1].

فجعل عيسى ابن مريم من ذرية نوح عليه السلام، قال:

فأي شيء قالوا لكم؟.

قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصلب، قال عليه السلام:

فأي شيء احتججتم عليهم؟.

قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[2].

قال عليه السلام:

فأي شيء قالوا؟.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل وآخر يقول: أبناؤنا. قال: فقال أبو جعفر عليه السلام:

يا أبا الجارود لأعطينكها من كتاب الله جل وتعالى أنهما من صلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يردها إلا الكافر.

قلت: وأين ذلك جعلت فداك؟. قال عليه السلام:

من حيث قال الله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾[1].

فسلهم يا أبا الجارود هل كان يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نكاح حليلتيهما؟ فإن قالوا: نعم كذبوا وفجروا وإن قالوا: لا فهما ابناه لصلبه»)[2].

٢ـ وروى رحمه الله عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام[3]، أنه قال:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج٨، ص٣١٧ ـ ٣١٨، ح٥٠١.

(٣) يراد بها أحد الصادقين، أي الإمام الباقر وولده الإمام الصادق عليهما السلام.

«لو لم يحرم على الناس أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقول الله عز وجل:

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾.

حرّمن على الحسن والحسين عليهما السلام بقول الله عز وجل:

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

ولا يصلح للرجل أن ينكح امرأة جده»[١].

٣ـ روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ما جرى بينه وبين هارون العباسي من مسائل كان قد توجه بها الرشيد إليه فكان من بينها، أنه قال: (لم جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون لكم: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنتم بنو علي وإنما ينسب المرء إلى أبيه وفاطمة إنما هي وعاء والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جدكم من قبل أمكم؟.

فقلت:

يا (أمير المؤمنين)[٢] **لو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟.**

---

(١) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج٥، ص٤٢٠.

(٢) مناداته عليه السلام لهارون العباسي بيا أمير المؤمنين مبني على كون ذلك مما اتخذه بنو أمية و بنو العباس من ألقاب يناديهم بها الناس كمن اتخذ لنفسه لقب الناصر بالله والمعتز بالله وهما عدوان لله فمناداة الخليفة بالناصر بالله لا يعني إقرارا من القائل بأحقية السامع بما سمى به نفسه وإنما هي مسميات تتناسب مع نشوة السلطان وهوس العرش والتحكم بخلق الله.

فقال: سبحان الله ولم لا أجيبه؟ بل افتخر على العرب والعجم وقريش بذلك فقلت له:

لكنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يخطب إلي ولا أزوجه.

فقال: ولم؟، فقلت:

لأنه صلى الله عليه وآله وسلم ولدني ولم يلدك.

فقال: أحسنت يا موسى ثم قال: كيف قلتم: إنا ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعقب وإنما العقب للذكر لا للأنثى: وأنتم ولد البنت ولا يكون لها عقب؟!، فقلت:

أسألك يا أمير المؤمنين بحق القرابة والقبر ومن فيه إلا ما أعفاني عن هذه المسألة.

فقال: لا أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم كذا أنهى إلي ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله تعالى وأنتم تدعون معشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم منه بشيء ألف ولا واو إلا وتأويله عندكم واحتججتم بقوله عز وجل:

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

وقد استغنيتم عن رأى العلماء وقياسهم فقلت:

تأذن لي في الجواب.

قال: هات.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَ﴾[1].

من أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟.

فقال: ليس لعيسى أب فقلت:

إنما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أمنا فاطمة عليها السلام أزيدك يا أمير المؤمنين؟.

قال: هات.

قلت: قول الله عز وجل:

﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[2].

ولم يدع أحد انه ادخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء عند المباهلة للنصارى إلا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان تأويل قوله تعالى: (أبناءنا) الحسن والحسين عليهما السلام و(نساءنا) فاطمة عليها السلام و(أنفسنا) علي بن أبي طالب عليه السلام على أن العلماء قد أجمعوا على أن جبرئيل عليه السلام قال يوم أحد: يا محمد إن

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

هذه لهي المواساة من علي قال: لأنه مني وأنا منه فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي فكان كما مدح الله تعالى به خليله عليه السلام: إذ يقول:

﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾[1].

إنا معشر بني عمك نفتخر بقول جبرئيل: إنه منا.

فقال: أحسنت يا موسى ارفع إلينا حوائجك فقلت له:

أول حاجة أن تأذن لابن عمك أن يرجع إلى حرم جده وإلى عياله.

فقال: ننظر إن شاء الله تعالى، فروي: أنه أنزله عند السندي بن شاهك فزعم أنه توفي عنده والله أعلم)[2].

٤ـ روى الطبري عن فاطمة الكبرى عليها السلام قالت:

«**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كل بني أم ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم**»[3].

إذن: كان ذكر الإمام الحسين عليه السلام في دعائه لمقام البنوة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو لبيان تلك الظلامة التي وقعت على فاطمة عليها السلام حينما منعت إرث أبيها وإرث ولدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتغيّب هذا الحق وسَن ظلمهما على الملأ من المهاجرين والأنصار مما أعطى زخماً قوياً للمنافقين في انتهاك

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج٢، ص٨٠ ـ ٨٢.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص٤٤. مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩، ص١٧٢. سبل السلام للكحلاني: ج٤، ص٩٩.

حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإيذائه أشد الأذى من خلال تجويع ولده ومقاطعتهم وسلب أموالهم وتهجيرهم والتجرّؤ عليهم بالقول ومن ثم عدوا عليهم فقتلوهم.

بمعنى: أراد عليه السلام أن يدعو ربه دعوة المظلوم الذي تجرع أنواع الظلم منذ وفاة أبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يومه هذا الذي أصبح فيه وحيداً قد قتلوا ولده وأخوته وأصحابه، ثم عدوا عليه يقاتلونه فلم يبقَ موضعٌ في بدنه لم يصب بضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية سهم أو قذف حجارة، فضلاً عن إحاطتهم ببناته وأخواته وأرحامه من النساء بالخيل والجند من كل جهة، وهو بهذه الحال لا يملك سوى النظر إلى السماء والنظر إلى عياله.

فضلاً عن أنه ـ بأبي وأمي ـ أقرن ظلامته في دعائه إلى الله تعالى ـ مع ما له من حرمة خاصة بالتشفع بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليقدم منهجاً متكاملاً لسير حركة الرسالة المحمدية، وبياناً لأسباب نهضته وعاقبة تضحيته ونتيجة شهادته كما سيمر لاحقاً في المبحث القادم.

المبحث الخامس: حقائق غيبية في خاتمة الدعاء الملكوتي لسيد الشهداء عليه السلام

«اللهم احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي اصطفيته بالرسالة وائتمنته على الوحي فاجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا يا أرحم الراحمين»[1].

---

(١) مصباح المتهجد، للشيخ الطوسي: ص٨٢٨، ح٢/٨٨٧.

إن التأمل في الدعاء الملكوتي لسيد الشهداء عليه السلام يفرض في ساحة الذهن مجموعة من الأسئلة التي لم أجد لبعضها أجوبة سوى حالة من الدهشة والذهول اللذين ترافقا مع الزمان والمكان والحال الذي عليه سيد الشهداء عليه السلام، فضلا عن بديهيات إسلامية أخذت بحجزة التأمل فأناخت به في باحة الولاء لتتلقى رشقات من سحب الفيوضات القدسية فكان كالآتي:

السؤال الأول: أي فرج يريده سيد الشهداء عليه السلام؟

ترى أي فرج يريده الإمام الحسين عليه السلام وهو في اللحظات الأخيرة لعروجه إلى ساحة القدس واللطف الإلهي؟

أي فرج هذا الذي استحق كل هذه المقدمات الملكوتية فيبدأها بـ**(أللهم متعال المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت تدرك ما طلبت، شكور إذا شكرت، ذكور إذا ذكرت)**[1].

فإذا عددتها وجدتها سبع عشرة صفة من الصفات الإلهية، تليها ستة احتياجات ارتبطت بمقام العبودية لله تعالى وهي: (الاحتياج، والفقر، والخوف، والبكاء، والضعف، والعجز)، ليليها بعد ذلك تقديم طلبه وحاجته بين يدي الله تعالى فكانت ضمن محورين، وهما (الحكم) و(الجعل).

«أللهم احكم بيننا وبين قومنا»، «واجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً».

---

(١) المجموع، النووي: ج٥، ص٩٦. المغني، ابن قدامة: ج٢، ص٢٩٦.

وبين الطلب بالحكم وجعل الفرج والمخرج كان التشفع بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليكون النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو المعني في إجراء الحكم والجعل الإلهيين، وهذا من الحقائق الغيبية التي اكتنزها الدعاء، فيتشفع عليه السلام بمن كان علة لخلق الخلق وسبيلاً لنزول الفيض للخلائق:

فـ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[1].

فيقدم بين يدي الله عز وجل أربعة من مقامات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي: (النبي، والحبيب، والمصطفى، والمؤتمن) وهي من أعظم الحرمات التي لا يردّ معها حاجة، وهذا أولا.

وثانيا: فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو المقصود في هذه الواقعة فـ(المغررون، والمخذولون، والمغدورون، والمقتولون) هم عترته وولده، ولذا قال:

«نحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد».

وإن هذا التغرير والخذلان والغدر والقتل أسس له بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سقيفة بني ساعدة، فأول من تعرض للخذلان والغدر والقتل هي بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أمير المؤمنين علي، ثم الإمام الحسن ثم الإمام الحسين عليهم السلام، ولم ينتهِ الأمر عند كربلاء وفاجعة سيد الشهداء عليه السلام، وإنما استمرت هذه الجرائم الأربع (التغرير، والخذلان، والغدر، والقتل) في عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولده عليهم السلام.

ولذا: يسأل الله تعالى أن يجعل لهم، أي عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وولده عليهم السلام، من أمرهم فرجاً ومخرجاً.

---

(١) سورة ص، الآية: ٣٩.

السؤال الثاني: كيف يتحقق الفرج والمخرج لسيد الشهداء وهو على رمضاء كربلاء؟

ربما يتبادر إلى الذهن أن الفرج الذي أراده الإمام الحسين عليه السلام هو الشهادة والانتقال إلى الآخرة حيث الأنس بالفيوضات والألطاف الإلهية، لكن سؤالاً آخر يعترض هذا الجواب، قائلاً: وهل هو الآن منقطع عن الفيوضات الإلهية، وهو القائل:

«**هوّن ما نزل بي أنه بعين الله تعالى**»(١).

وقول قاتله حين قدم يتمشى وهو يثقل الأرض بخطواته، خطوات أثقلتها نية ذبح ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجع متقهقراً فقد أهاله المنظر، على الرغم من كونه محجوباً عن رؤية النور لكدورة ذهنه وقساوة قلبه، لكن لم يمنعه ذلك من أن يرى نور وجه الإمام الحسين عليه السلام ليرجع مردداً: (شغلني نور وجهه وجمال هيبته عن الفكرة في قتله)(٢).

فالإمام الحسين عليه السلام لم ينقطع عن الاتصال بالفيوضات الإلهية، فضلاً عن أن المعصوم من خصوصياته عدم الانقطاع، فلو غفل عن تكاليفه التي فرضها الله عليه ولو طرفة عين لساخت الأرض بأهلها؛ إذ ينقطع السبب المتصل بين الأرض والسماء، فكيف إذا كان الآن في مقام المتشحط بدمه الصابر المحتسب لما نزل به وبأهل بيته عليهم السلام كيف سيكون توالي الفيوضات الإلهية والألطاف الربانية عليه؛ ولذا: فأي فرج يسأل الله عنه؟!.

وأي أمر يعني؟ وأي مخرج يريد عليه السلام؟

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ص٧٠. البحار للمجلسي: ج٤٥، ص٤٦.

(٢) مثير الأحزان، ابن نما الحلي: ص٥٧.

هذه الكلمات الثلاث (الأمر، الفرج، المخرج) صحبت حياة الأئمة عليهم السلام ولم تفارق دعواتهم فهم يدعون لصاحب الأمر بتعجيل الفرج وتسهيل المخرج، وهو مهدي آل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه.

وهذا من الحقائق الغيبية التي اكتنزتها عاشوراء وأظهرها دعاء الإمام الحسين عليه السلام وهو على رمضاء كربلاء ليكون خاتمة أدعيته، بل ونتيجة تضحيته وشهادته.

السؤال الثالث: ما هو الدليل على أن الإمام الحسين عليه السلام يختم حياته بالدعاء للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

قبل الإجابة على هذا السؤال الذي ظهر نصف إجابته في خاتمة دعائه عليه السلام بقوله:

«**فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً برحمتك يا أرحم الراحمين**».

لابد من ذكر مقدمة تمهيدية، وهي:

لو نظرنا إلى حركة تاريخ النبوة منذ أن خلق الله تعالى آدم فجعله خليفة له في الأرض، وإلى أن بعث خير خلقه وسيد أنبيائه ورسله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، يتضح أن هدف النبوة إصلاح الناس وتحقيق شريعة الله في الأرض وإزالة الظلم وتطهير الأرض من الفساد.

والأنبياء كلهم عليهم السلام ومن بينهم المرسلون الذين اختارهم الله منهم، تعرضوا للبلاء وحوربوا أشد المحاربة، فمنهم من قُتل ومنهم من هُجّر ومنهم سجن ومنهم من عذب بأنواع العذاب، فضلاً عن محاربتهم فكرياً واجتماعيا واقتصاديا من خلال اتهامهم بالكذب والسحر والجنون ومقاطعتهم اقتصاديا واجتماعيا، ناهيك عن ما يلحق بأتباعهم ومن آمن بهم من البلاء.

إلا أن الفارق الوحيد فيما بينهم وبين سيدهم وأفضلهم محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو سلامة أبنائهم من القتل واختصاص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك دونهم فما من نبي إلا وقد كتب الله لولده السلامة من الابتلاء، ونقصد به القتل فليس فيهم من قُتل ولده سوى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم نعم ابتلي إبراهيم بتقديم ولده إسماعيل عليهما السلام للذبح؛ فلما امتثلا لأمر رب العالمين رفع التكليف عنهما وفدى الله نبيه اسماعيل ـ أو البيت، أو الدين على اختلاف التأويل ـ بذبح عظيم، وأوكل الأمر لذبيح آخر.

قال تعالى:

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[١].

ويعقوب ابتلاه الله تعالى بتغييب ولده عنه لكنه كان محفوظاً معافىً مكرماً ذا سلطان وجاه عظيمين.

وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[٢].

أما سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم فأول ابتلاءاته كانت في ولده وآله وعترته، فأسرع أهل بيته لحوقا به بضعته فاطمة الزهراء عليها السلام وقد قتلت بعد أن

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

عصرت بين الحائط والباب؛ وهي حقيقة نص عليها الأئمة عليهم السلام وتناقلتها حفاظ المسلمين ورواتهم منذ القرن الأول للهجرة وإلى وقتنا الحاضر.

قال آية الله العظمى المرحوم الشيخ جواد التبريزي (قدس سره):

(وأما ما جرى عليها من الظلم فهو متواتر إجمالاً؛ فإن خفاء قبرها عليها السلام إلى يومنا هذا، ودفنها ليلاً بوصية منها شاهدان على ما جرى عليها بعد أبيها، مضافاً لما نقل من علي عليه السلام من الكلمات حال دفنها، قال:

«وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك عليّ وعلى هضمها حقها فاستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين»[1].

وقال عليه السلام:

«فبعين الله تدفن ابنتك سرا، وتهضم حقها، وتمنع إرثها جهرا، ولم يتباعد العهد، ولم يخلق منك الذكر، وإلى الله يا رسول الله المشتكى»[2].

وبسند معتبر عن الإمام الكاظم عليه السلام، قال:

«إن فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة»[3].

وهو ظاهر في مظلوميتها وشهادتها.

---

(١) الأمالي، للشيخ المفيد: ص٢٨٢، الأمالي للشيخ الطوسي: ص١١٠.

(٢) كشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي: ج٢، ص١٢٨.

(٣) الكافي، للكليني: ج١، ص٤٥٩. صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي: ج٣، ص٤٤١. مسائل علي بن جعفر، ابن الإمام الصادق عليه السلام: ص٣٢٥.

ويؤيده أيضا ما في البحار، عن دلائل الإمامة للطبري بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام:

«... وما كان سبب وفاتها أن قنفذا - لعنه الله - مولى الرجل لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسنا»[1][2].

ومما روي أيضا عن العترة المحمدية، ما رواه النوري في المستدرك عن زكريا بن آدم، قال:

(إني لعند الرضا عليه السلام، إذ جيء بأبي جعفر - الجواد عليه السلام - وسنه نحو أربع سنين، فضرب بيده الأرض، ورفع رأسه إلى السماء فأطال الفكر، فقال له الرضا عليه السلام:

«بنفسي أنت فيم تفكر طويلا منذ قعدت؟»

فقال:

«فيما صنع بأمي فاطمة عليها السلام، أما والله لأخرجنهما، ثم لأحرقنهما، ثم لأذرينهما، ثم لأنسفنهما في اليم نسفاً».

فاستدناه وقبل بين عينيه.

ثم قال:

«أنت لها - يعني الإمامة»[3].

(١) دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص١٣٥، ح٤٣/٤٣. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٤٣، ص١٧١، ح١١.

(٢) صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي: ج٣، ص٤٤١.

(٣) خاتمة المستدرك، الميرزا النوري: ج١، ص١٢٤.

فأول المقتولين من ولد حبيب رب العالمين المصطفى بالرسالة والمؤتمن على الوحي هي بضعته وقلبه وروحه التي بين جنبيه[١]، وبهجة قلبه[٢]، فاطمة عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وتتوالى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المصائب والفجائع فيفجع بأخيه وابن عمه ووصيه وخليفته علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم يقتل ولده واحداً تلو الآخر، ثم ها هو ولده الحسين اليوم ملقى على رمضاء كربلاء مضرج بدمه، ثم يقتل أولاده مسمومين على يد حكام بني أمية وبني العباس، فولده الإمام علي زين العابدين عليه السلام قتله الوليد بن عبد الملك، وولده الإمام محمد الباقر عليه السلام، قتله هشام بن عبد الملك، وولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام قتله المنصور العباسي، وولده الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قتله هارون (العباسي) في السجن؛ وولده الإمام الرضا عليه السلام قتله المأمون؛ وولده محمد الجواد عليه السلام قتله المعتصم العباسي؛ وولده الإمام علي الهادي عليه السلام قتله المعتز العباسي؛ وولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام قتله المعتمد العباسي.

فهؤلاء عشرة أئمة وهم ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قتلهم الظالمون وجبابرة العصور؛ فضلاً عن قتل أبنائهم وأحفادهم وتهجيرهم وحبسهم حد الإبادة الجماعية مما دعا أبا الفرج الاصفهاني المتوفى (٣٥٦هـ) إلى تتبع هذه الحوادث وتدوينها في كتاب أسماه (مقاتل الطالبيين) وهو يكشف عن حقيقتين:

---

(١) قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبي»، أنظر: الأمالي للصدوق: ص١٧٦. الفضائل لابن شاذان: ص١٠. الغدير للشيخ الأميني: ج٧، ص٢٣٥.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٢٣، ص١١٠، ح١٦.

١ـ كثرة القتل في ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمختلف الطرق وانتشار هذه الحوادث في مختلف البلاد والغرض منها قطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويأبى الله إلا أن يبارك لحبيبه المصطفى في ذريته فقد أعطاه الكوثر، ومن يستطيع أن يقف بوجه إرادة الله تعالى ومشيئته؟.

٢ـ اختيار العنوان يكشف عن نفاذ الحرب الثقافية ضد ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فنسبهم إلى أبي طالب عليه السلام ـ وإن كان موضع فخرٍ وتشريف ـ إلا أنه يكشف عن سريان هذه الثقافة في طبقة العلماء والكتاب، فطغى العنوان على محاولة التكتم السلطوي في نفي ممارسة الحكام لشتى أنواع الحرب على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبدا العنوان صريحا في إبعاد، بنوة الحسن والحسين عليهما السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإبطالها وإن ذريتهما هي ذرية أبي طالب عليه السلام، فسمي الكتاب بمقاتل الطالبيين؛ فضلا عن أن المقصود في هذه الحرب أيضا هو شخص أبي طالب عليه السلام.

فناله من الأذى في ذريته ما نال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن هذه الثقافة الأموية في إبطال بنوة الحسن والحسين عليهما السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت طاغية في المجتمع الإسلامي فيسمي أبناءه وولده بالطالبيين أو العلويين ولم يسموا بأبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذن:

خص المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بنوع خاص من الابتلاء بين الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وهو الابتلاء في قتل ولده وذريته وهذا أولا.

ثانيا: إن تحقيق هدف النبوة في الإصلاح والعدل في أرجاء الأرض كافة من آدم وإلى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم سيتحقق في المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

ولذا جرت حكمة الله تعالى ومشيئته أن يجعل الدنيا محل ابتلاء واختبار ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من يحيا عن بينة.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[1].

واقتضت حكمته عزّ شأنه أن يعقل الناس العدل بوجود الظلم كما يعقل الإنسان الدفء بوجود البرودة؛ أن يدرك آثار الصيف حينما يمر عليه الشتاء ويدرك آثار الشتاء حينما يمر عليه الصيف؛ وهكذا مجريات معرفة الفضائل والرذائل، والإنسان مخير في اختيار ما يشاء قال تعالى:

﴿إِنَّا هَدَيۡنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2].

إلا أن تحقيق العدل والصلاح وعموم الخير ولبس العافية هو عين رحمة الله تعالى ومنية أنبيائه عليهم السلام، ولأجل تحقيق هذه الغاية تحملوا ما نزل بهم من البلاء، محتسبين في ذلك رضا الله تعالى، سائلين ربهم الصبر والنصر واللطف فيما ابتُلوُا به عسى الله أن يحدث أمراً.

ولذا: كان الإمام الحسين عليه السلام في آخر دعائه عليه السلام وهو على رمضاء كربلاء وجراحاته تشخب دماً **«أن يجعل الله لنا»** ـ وهم المكلفون بإبلاغ رسالات ربهم من آدم عليه السلام إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته الذين اختارهم الله على علم على العالمين.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٣.

«من أمرهم» في تحقيق العدل والصلاح ونشر الخير والقضاء على الظلم والفساد والشر، وهذا ما شاء الله تعالى أن يجعله في مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا؛ فكل أمرهم قد جمع في **«صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف»**.

لذا: لزم أن يختم الإمام المظلوم المقتول العطشانَ المذبوح ولده وأخوته وأصحابه أمام عينيه، عمله هذا الذي قدمه على ساحة الطف في يوم عاشوراء، بالدعاء لمن جمعت فيه شرائع الأنبياء والمرسلين، وأوكل إليه تطهير الأرض، لتكون خالصة لوجه رب العالمين.

بأن يعجل لهم من أمرهم هذا فرجاً ومخرجاً بظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وما ذاك إلا برحمته فإنه أرحم الراحمين.

أما القرائن والشواهد التي تدل على أن الإمام الحسين عليه السلام يختم استشهاده بالدعاء للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فهي كالآتي:

أولا: لما ذبح عبد الله الرضيع عليه السلام توجه الإمام الحسين عليه السلام إلى الله تعالى بهذا الدعاء قائلا:

«إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه وانتقم لنا من الظالمين».

فإنّ المجاهد في سبيل الله تعالى ينتظر إحدى الحسنيين إما النصر، وإما الشهادة، فإذا حبس عنه النصر فما هو الشيء الذي يكون له خيراً منه؟ في حين أن الآية الكريمة التي وصفت الحسنيين في قوله تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ

ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾[١].

جعلت العذاب بأيدي المؤمنين من لوازم إحدى الحسنيين وهو النصر.

إذن: ما هو الأمر الذي عند الإمام خير من النصر في حال حبسه عن المجاهد في سبيل الله تعالى؟. جواب ذلك عند الإمام الباقر عليه السلام حينما سأله أبو حمزة الثمالي عن الحسنيين فقال عليه السلام:

«إماموت في طاعة الله أو إدراك ظهور إمام»[٢].

ثانيا: حينما دعا عليه السلام بالفرج، فإن هذا الفرج لا يحصل إلا بالإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف كما دل عليه حديث الإمام الصادق عليه السلام مع أبي بصير، فإنه قال: قال الإمام الصادق عليه السلام:

«الله أجل وأكرم وأعظم من أن يترك الأرض بلا إمام عادل».

قال: قلت جعلت فداك فأخبرني بما أستريح إليه. قال:

«يا أبا محمد ليس يرى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فرجاً أبداً) ما دام لولد بني فلان ملك حتى ينقرض ملكهم، فإذا انقرض ملكهم أتاح الله لأمة محمد رجلاً منا أهل البيت، يشير بالتقى ويعمل بالهدى ولا يأخذ في حكمه الرشى، والله إني لأعرفه باسمه واسم أبيه، ثم يأتينا الغليظ العصرة ذو الخال والشامتين، الغائم العادل الحافظ لما استودع يملأها قسطا وعدلا كما ملأها الفجار جوراً وظلما»[٣].

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٢.

(٢) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج٨، ص٢٨٦. وسائل الشيعة: ج٩، ص٥٥٢.

(٣) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ج٣، ص١١٧. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٥٢، ص٢٦٩، ح١٥٨.

فهذا الحديث يدل بوضوح على أن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا ترى الفرج أبداً وأنه لا يتحقق إلا بظهور القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا نجد أن سيد الشهداء عليه السلام كان يدعو في آخر لحظاته إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قائلا:

«ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي اصطفيته بالرسالة وائتمنته على الوحي فاجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا يا أرحم الراحمين».

فبه يجعل الله تعالى، وعلى يديه، فرج العترة؛ وفرج أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وبه يكون المخرج من الشدة والعسرة، وتنال النعمة والوفرة في الخير والعافية، بفضل الله ومنّه وسابق رحمته، فإنه أرحم الراحمين.

(اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة وليا وحافظا وقائدا وناصرا ودليلا وعينا حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا).

﴿وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

تم بحمد الله تعالى وسابق رحمته وشمول لطفه الانتهاء من هذا الجهد في يوم ولادة ريحانة المصطفى وباب رحمة الله الواسعة.

٣/شعبان/ ١٤٣٠هـ

الموافق ٢٠٠٩/٧/٢٦م

في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

السيد نبيل قدوري حسن الحسني



فهرس الآيات

سورة آل عمران

سورة الأنعام

الآية	رقمها	الجزء	الصفحة
﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ...﴾.	٥٤	٢	١٣
﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾.	٥٩	١	٣٢٠
﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾.	٨٧	٢	١٩٣
﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.	٨٩	١	٢٧

سورة هود

الآية	رقمها	الجزء	الصفحة
﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ...﴾.	٢٩	٢	١٩٤
﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ...﴾.	٤٠	١	١٢، ١٥١
﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ...﴾.	٤٥	٢	١٨٩
﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ...﴾.	٤٦	٢	١٩٠
﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.	٥١	٢	١٩٤
﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ...﴾.	٥٩ – ٦٠	٢	١٢٣
﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ...﴾.	٧٠ – ٧٤	٢	٢٢
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾.	٧٨	٢	١٨٠
﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً ...﴾.	٨٢	١	٢٠٢
﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.	٨٨	١ و٢	١٦ و٢٢٦
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾.	٩٢	٢	١٨١
﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.	١١٤	١	٩٨

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

فهرس الأحاديث

الحديث	الجزء	الصفحة
«ما بال أقوام تقول: إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع يوم القيامة».	٢	٢٧، ٣٣
«ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع».	٢	٣٣
«من أنعم الله تعالى عليه نعمة فليحمد الله تعالى...».	٢	٨٧
«من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».	١	٣٢٢
«من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي».	١	٢٨١
«نحن معاشر الأنبياء لا نورث».	٢	٢٠٥
«هو رجل من العرب، ولد له عشرة، تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة؛...».	٢	٤٨
«وإن كذبتموني فإن فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم،...».	١	١٨٣
«يا ابن عباس كأني به وقد خضبت شيبته من دمه، يدعو فلا يجاب،...».	١	٦٤
«يا جبرائيل عظني».	١	٩٧
«يا علي حربك حربي وسلمك سلمي».	١	٣٢٢
«يأتي على الناس زمان يذوب فيه قلب المؤمن في جوفه...».	٢	٧٥

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الحديث	الجزء	الصفحة
«أبشر من صلى من الليل عُشر ليلة لله مخلصاً ابتغاء ثواب الله،...».	١	٩٩
«اصبر أبا عبد الله! اصبر أبا عبد الله بشط الفرات.	١	٤٥
«الإيمان له أركان أربعة التوكل على الله، وتفويض الأمر إلى الله،...».	٢	١٥٧
«الدّعاء ترسُ المؤمنِ ومتى تكثر قرعَ البابِ يفتح لك».	١	٣٣
«الدعاء مفاتيحُ التجاحِ؛ ومقاليدُ الفلاحِ؛...».	١	٣٣
«أنت أخو أخيك؟ أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل؟...».	١	١٨٩
«إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي قتلنا...».	١	٢١٣
«أوسع الناس صدرا، وأذلهم نفسا، ضحكه تبسما، وإفهامه تعلما،...».	١	١٦٦
«تزول الجبال ولا تزل، عضّ على ناجذك، أعر الله جمجمتك،...».	٢	٧٨

سيدة النساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام

الإمام حسن المجتبى عليه السلام

الإمام الحسين بن علي عليه السلام

الإمام السجاد عليه السلام

الإمام محمد الباقر عليه السلام

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

فهرس الأعلام

ـ ألف ـ

فهرس الأعلام

ـ باء ـ

فهرس الأعلام

- جيم -

مصادر الكتاب

١. إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام / الشيخ محمد السماوي / الوفاة: ١٣٧٠هـ / تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٩ ـ ١٣٧٧ ش / الناشر: مركز الدراسات الإسلامية.

٢. الإتحاف بحب الأشراف / الشبراوي / تحقيق: سامي الغريري / الطبعة: الثالثة / لسنة: ٢٠٠٧م / الناشر: دار الكتاب الإسلامي، إيران ـ قم المقدسة.

٣. الإتقان في علوم القرآن / السيوطي / الوفاة: ٩١١هـ / تحقيق: سعيد المندوب / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٦ ـ ١٩٩٦م / الناشر: دار الفكر.

٤. إثبات الوصية / المسعودي / الوفاة: ٣٤٦هـ / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤٠٩هـ / الناشر: دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.

٥. اجماعيات فقه الشيعة / إسماعيل المرعشي / الطبعة ـ الثانية / لسنة: ١٤١٩هـ.

٦. الآحاد والمثاني / الضحاك / الوفاة: ٢٨٧هـ / تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١١ ـ ١٩٩١ م / الناشر: دار الدراية.

٧. الاحتجاج / الشيخ الطبرسي / الوفاة: ٥٤٨هـ / تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان / لسنة: ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦ م / الناشر: دار النعمان ـ النجف الأشرف.

٨. الأحكام السلطانية والولايات الدينية / الماوردي / الوفاة: ٤٥٠هـ / الطبعة: الثالثة / لسنة: ١٤٢٧هـ / الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٩. إخبار الدول / القرماني.

١٠. الأخبار الطوال / الدينوري / الوفاة: ٢٨٢ هـ / تحقيق: عبد المنعم عامر / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٩٦٠هـ / الناشر: دار إحياء الكتب العربي ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه / منشورات الشريف الرضي.

١١. اخبار الموفقيات / الزبير بن بكار.

١٢. آداب الكتاب / الصولي / الوفاة: ٣٣٥هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٥هـ / الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٣. الإرشاد / الشيخ المفيد / الوفاة: ٤١٣ هـ / تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٤ ـ ١٩٩٣ م / الناشر: دار المفيد ـ بيروت ـ لبنان.

١٤. الاستبصار/ الشيخ الطوسي / الوفاة: ٤٦٠هـ / تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان / الطبعة: الرابعة / لسنة: ١٣٦٣ ش / الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

١٥. الاستذكار / ابن عبد البر / الوفاة: ٤٦٣ هـ / تحقيق: سالم محمد عطا / الطبعة: الأولى / لسنة: ٢٠٠٠م / الناشر: دار الكتب العلمية.

١٦. الإستراتيجية العسكرية عند الإمام الحسين (عليه السلام) / مخطوط للسيد نبيل الحسني.

١٧. الاستيعاب / ابن عبد البر / الوفاة: ٤٦٣هـ / تحقيق: علي محمد البجاوي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٢هـ / الناشر: دار الجيل.

١٨. أسد الغابة / ابن الأثير / الوفاة: ٦٣٠هـ / الناشر: أسماعيليان ـ بيروت ـ لبنان.

١٩. أسس البحث العلمي في التربية وعلم النفس / د. محمد نجيب ـ د. محمود ميلاد / الطبعة ـ الأولى / لسنة: ١٤٢٨هـ / الناشر: مكتبة الضامري ـ سلطنة عمان.

٢٠. أسس البحث في التربية وعلم النفس الانتصار / العاملي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٢هـ / الناشر: دار السيرة ـ بيروت ـ لبنان.

٢١. الإسلام والقومية / علي محمد النقوي.

٢٢. الإصابة / ابن حجر / الوفاة: ٨٥٢ هـ / تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

٢٣. الأصول الستة عشر / عدة محدثين / الوفاة: ق٢ / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤٠٥ ـ ١٣٦٣ ش / الناشر: دار الشبستري ـ قم ـ إيران.

٢٤. أضواء على الصحيحين / الشيخ محمد صادق النجمي / تحقيق: الشيخ يحيى كمالي البحراني / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٩هـ / الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم.

٢٥. أضواء على الصحيحين / عز الدين بحر العلوم / الطبعة ـ الأولى / لسنة: ١٤١١هـ / الناشر: دار الزهراء (عليها السلام)، بيروت ـ لبنان.

٢٦. الاعتقادات في دين الإمامية / الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣٨١هـ / تحقيق: عصام عبد السيد / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٤ ـ ١٩٩٣ م / الناشر: دار المفيد، بيروت ـ لبنان.

٢٧. الأعلام / خير الدين الزركلي / الوفاة: ١٤١٠هـ / الطبعة: الخامسة / لسنة: ١٩٨٠هـ / الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان.

٢٨. أعلام النساء / عمر رضا كحالة / الطبعة: الخامسة / لسنة: ١٤٠٤هـ / الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

٢٩. إعلام الورى بأعلام الهدى / الشيخ الطبرسي / الوفاة: ٥٤٨هـ / تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٧ هـ / الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ـ قم المشرفة.

٣٠. أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين / الوفاة: ١٣٧١هـ / تحقيق: حسن الأمين / الناشر: دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان.

٣١. إقبال الأعمال / السيد ابن طاووس / الوفاة: ٦٦٤هـ / تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٤هـ / الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.

٣٢. إكمال الكمال / ابن ماكولا / الوفاة: ٤٧٥ هـ / الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٣٣. الإكمال في أسماء الرجال / الخطيب التبريزي / الوفاة: ٧٤١هـ / تحقيق: أبي أسد الله بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاري / الناشر: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام.

٣٤. الأمالي / الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣٨١هـ / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٧هـ / الناشر:مؤسسة البعثة ـ قم.

٣٥. الأمالي / الشيخ الطوسي / الوفاة: ٤٦٠هـ / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٤ هـ / الناشر: دار الثقافة ـ قم.

٣٦. الإمامة والتبصرة / ابن بابويه القمي / الوفاة: ٣٢٩ هـ / تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ قم المقدسة / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٤ ـ ١٣٦٣ ش / الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ قم المقدسة.

٣٧. الإمامة والسياسة / ابن قتيبة الدينوري / الوفاة: ٢٧٦هـ / الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه.

٣٨. إمتاع الأسماع / المقريزي / الوفاة: ٨٤٥هـ / تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٣٩. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٤٠. الأنوار البهية / الشيخ عباس القمي / الوفاة: ١٣٥٩هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٧ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المشرفة.

٤١. أولاد الإمام محمد الباقر عليه السلام / السيد حسين الزرباطي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٧ / الناشر: انتشارات دار التفسير (إسماعيليان). قم.

٤٢. بحار الأنوار / العلامة المجلسي / الوفاة: ١١١١ هـ / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م / الناشر: مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان.

٤٣. بدائع الصنائع / أبو بكر الكاشاني / الوفاة: ٥٨٧هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩ م / الناشر: المكتبة الحبيبية ـ باكستان.

٤٤. البداية والنهاية / ابن كثير/ الوفاة: ٧٧٤ هـ / تحقيق: علي شيري / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ م / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٤٥. بشارة المصطفى / محمد بن علي الطبري / الوفاة: ٥٢٥ / تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٠ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي قم المشرفة.

٤٦. بصائر الدرجات / محمد بن الحسن الصفار / الوفاة: ٢٩٠هـ / تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي / لسنة: ١٤٠٤ ـ ١٣٦٢ ش / الناشر: منشورات الأعلمي ـ طهران.

٤٧. بلاغات النساء / ابن طيفور / الوفاة: ٣٨٠هـ / الناشر: مكتبة بصيرتي ـ قم المقدسة.

٤٨. تاج العروس / الزبيدي / الوفاة: ١٢٠٥هـ / تحقيق: علي شيري / لسنة: ١٤١٤ ـ ١٩٩٤م / الناشر: دار الفكر ـ بيروت.

٤٩. تاريخ أبي الفداء / أبي الفداء / الوفاة: ٧٣٢هـ / الطبعة ـ الأولى / لسنة: ١٤١٧هـ / الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٥٠. تاريخ الإسلام / الذهبي / الوفاة: ٧٤٨ هـ / تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧م / الناشر: دار الكتاب العربي.

٥١. تاريخ الطبري / الطبري / الوفاة: ٣١٠ هـ / الطبعة: الرابعة / لسنة: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م / الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان.

٥٢. تاريخ اليعقوبي / اليعقوبي / الوفاة: ٢٨٤هـ / الناشر: دار صادر ـ بيروت ـ لبنان.

٥٣. تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / الوفاة: ٤٦٣هـ / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٧ ـ ١٩٩٧ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٥٤. تاريخ مدينة دمشق / ابن عساكر/ الوفاة: ٥٧١هـ / تحقيق: علي شيري / لسنة: ١٤١٥ هـ / الناشر: دار الفكر- بيروت ـ لبنان.

٥٥. تحف العقول / ابن شعبة الحراني / الوفاة: ق ٤ / تحقيق:علي أكبر الغفاري / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤٠٤ ـ ١٣٦٣ ش / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المشرفة.

٥٦. تحفة الأحوذي / المباركفوري / الوفاة: ١٢٨٢ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٥٧. التحفة السنية / السيد عبد الله الجزائري / الوفاة: ١١٨٠هـ / شرح الجزائري / نسخة مخطوطة.

٥٨. تذكرة الخواص / سبط بن الجوزي / الوفاة: ٦٥٤هـ / الطبعة: الأولى / لسنة:١٤٢٥هـ / الناشر: دار العلوم، بيروت ـ لبنان.

٥٩. تذكرة الفقهاء / العلامة الحلي / الوفاة: ٧٢٦هـ / تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٤هـ / الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ـ قم.

٦٠. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام / ابن عساكر / الوفاة: ٥٧١هـ / تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٤هـ / الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ قم ـ إيران.

٦١. تفسير ابن أبي حاتم / ابن أبي حاتم الرازي / الوفاة: ٣٢٧هـ / تحقيق: أسعد محمد الطيب الناشر: المكتبة العصرية.

٦٢. تفسير ابن عربي / ابن العربي / الوفاة: ٦٣٨هـ / تحقيق: الشيخ عبد الوارث محمد علي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٢ ــ ٢٠٠١م / الناشر: دار الكتب العلمية.

٦٣. تفسير الآلوسي / الآلوسي / الوفاة: ١٢٧٠هـ.

٦٤. تفسير البيضاوي / البيضاوي / الوفاة: ٦٨٢هـ / الناشر: دار الفكر.

٦٥. تفسير الثعلبي / الثعلبي / الجزء: ١ / الوفاة: ٤٢٧هـ / تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٢ ـ ٢٠٠٢م / الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٦٦. تفسير الرازي / الرازي / الوفاة: ٦٠٦هـ / الطبعة: الثالثة.

٦٧. تفسير السمعاني / السمعاني / الوفاة: ٤٨٩هـ / تحقيق: ياسر بن إبراهيم / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٨ ـ ١٩٩٧م / الناشر: دار الوطن ـ الرياض.

٦٨. التفسير الصافي / الفيض الكاشاني / الوفاة: ١٠٩١هـ / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٦ ـ ١٣٧٤ ش / الناشر: مكتبة الصدر ـ طهران.

٦٩. تفسير القمي / علي بن إبراهيم القمي / الوفاة: ن٣٢٩ / تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري / الطبعة: الثالثة / لسنة: ١٤٠٤ / الناشر: مؤسسة دار الكتاب ـ قم ـ إيران.

٧٠. تفسير الميزان / السيد الطباطبائي / الوفاة: ١٤١٢هـ/ الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم المقدسة.

٧١. تفسير النسفي / النسفي / الوفاة: ٥٣٧هـ.

٧٢. تفسير الواحدي / الواحدي / الوفاة: ٤٦٨هـ / تحقيق: صفوان عدنان داودي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٥هـ / الناشر: دار القلم و الدار الشامية.

٧٣. تفسير مجمع البيان / الشيخ الطبرسي / الوفاة: ٥٤٨ هـ / تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين المختصين / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٥ ــ ١٩٩٥ م / الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان.

٧٤. تهذيب الأحكام / الشيخ الطوسي / الوفاة: ٤٦٠هـ / تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان / الطبعة: الثالثة / لسنة: ١٣٦٤ ش / الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٧٥. تهذيب الكمال / المزي / الوفاة: ٧٤٢ هـ / تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف / الطبعة: الرابعة / لسنة: ١٤٠٦ ـ ١٩٨٥ م / الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان.

٧٦. تهذيب تاريخ الشام / ابن عساكر / الوفاة: ٥٧١هـ .

٧٧. الثاقب في المناقب / ابن حمزة الطوسي / الوفاة: ٥٦٠هـ / تحقيق: نبيل رضا علوان / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٢هـ / الناشر: مؤسسة أنصاريان ــ قم المقدسة.

٧٨. ثواب الأعمال / الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣٨١هـ / تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٣٦٨ ش / الناشر: الشريف الرضي ـ قم.

٧٩. جامع أحاديث الشيعة / السيد البروجردي / الوفاة: ١٣٨٣هـ / لسنة:١٣٩٩هـ / المطبعة العلمية ـ قم.

٨٠. جامع السعادات / محمد مهدي النراقي / الوفاة: ١٢٠٩هـ / تحقيق: السيد محمد كلانتر / الناشر: دار النعمان.

٨١. الجمال في عاشوراء / السيد نبيل الحسني / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٨هـ / الناشر: العتبة الحسينية المقدسة.

٨٢. جواهر التاريخ / الشيخ علي الكوراني العاملي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤م / الناشر: دار الهدى.

٨٣. جواهر الكلام / الشيخ الجواهري / الوفاة: ١٢٦٦هـ / تحقيق: الشيخ عباس القوجاني / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٣٦٥ ش / الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٨٤. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام / ابن الدمشقي / الوفاة: ٨٧١ هـ / تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٥ / الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ قم ـ إيران.

٨٥. الحدائق الناضرة / المحقق البحراني / الوفاة: ١١٨٦هـ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المشرفة.

٨٦. حياة الحيوان الكبرى / الدميري / الوفاة: ٨٠٨هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٦هـ / الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٨٧. خاتمة المستدرك / الميرزا النوري / الوفاة: ١٣٢٠هـ / تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٥هـ / الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم ـ إيران.

٨٨. الخراج / لقدامة بن جعفر / الناشر: دار الرشيد.

٨٩. الخراج أحكامه ومقاديره / د. حمدان عبد المجيد الكبيسي / الطبعة: الأولى / لسنة: ٢٠٠٤م / الناشر: شركة المطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٩٠. الخراج والنظم المالية / د. محمد ضياء الدين.

٩١. الخصائص الفاطمية / الشيخ محمد باقر الكجوري / الوفاة: ١٢٥٥ هـ / تحقيق: سيد علي جمال أشرف / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٣٨٠ ش / الناشر: الشريف الرضي.

٩٢. الدر المنثور / جلال الدين السيوطي / الوفاة: ٩١١هـ / الناشر: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٩٣. دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية / الشيخ المنتظري / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٨ / الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية.

٩٤. دعائم الإسلام / القاضي النعمان المغربي / الوفاة: ٣٦٣هـ / تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي / لسنة: ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣ م / الناشر: دار المعارف ـ القاهرة.

٩٥. الدعوات / قطب الدين الراوندي / الوفاة: ٥٧٣هـ / تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٧ / الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ قم.

٩٦. دلائل الإمامة / محمد بن جرير الطبري / الوفاة: ق ٤ / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٣هـ / الناشر:مؤسسة البعثة.

٩٧. الدمعة الساكبة / البهبهاني / الوفاة: ١٤٨٥هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٨هـ / الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

٩٨. ذخائر العقبى / احمد بن عبد الله الطبري / الوفاة: ٦٩٤هـ / لسنة: ١٣٥٦ / الناشر: حسام الدين القدسي ـ القاهرة.

٩٩. ذخيرة المعاد / المحقق السبزواري / الوفاة: ١٠٩٠هـ / الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث.

١٠٠. الذريعة / الطهراني / الوفاة: ١٣٨٩هـ / الطبعة: الثالثة / لسنة: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م / الناشر: دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان.

١٠١. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة / الشهيد الأول / الوفاة: ٧٨٦ هـ / تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٩ هـ / الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ـ قم.

١٠٢. ذوب النضار / ابن نما الحلي / الوفاة: ٦٤٥هـ / تحقيق: فارس حسون كريم / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٦هـ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ــ قم المشرفة.

١٠٣. رجال الطوسي / الشيخ الطوسي / الوفاة: ٤٦٠هـ / تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٥هـ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المشرفة.

١٠٤. رسائل الكركي / المحقق الكركي / الوفاة: ٩٤٠هـ / تحقيق: الشيخ محمد الحسون.

١٠٥. رسائل المرتضى / الشريف المرتضى / الوفاة: ٤٣٦هـ / تحقيق: السيد أحمد الحسيني / لسنة: ١٤٠٥ / الناشر: دار القرآن الكريم ـ قم.

١٠٦. الرواشح السماوية / ميرداماد محمد باقر الحسيني الأستر آبادي / الوفاة: ١٠٤١هـ / تحقيق: نعمة الله الجليلي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٢ـ١٣٨٠ش / الناشر: دار الحديث.

١٠٧. روضة الواعظين / الفتال النيسابوري / الوفاة: ٥٠٨هـ / تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان / الناشر: منشورات الشريف الرضي ـ قم.

١٠٨. سبل السلام / محمد بن إسماعيل الكحلاني / الوفاة: ١١٨٢ هـ / تحقيق: الشيخ محمد عبد العزيز الخولي / الطبعة: الرابعة / لسنة: ١٣٧٩ ـ ١٩٦٠ م / الناشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر و محمود نصار الحلبي وشركاه ـ خلفاء.

١٠٩. سبل الهدى والرشاد / الصالحي الشامي / الوفاة: ٩٤٢هـ / تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٤ ـ ١٩٩٣ م / الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١١٠. سعد السعود / السيد ابن طاووس / الوفاة: ٦٦٤هـ / لسنة: ١٣٦٣ / الناشر: منشورات الرضي ـ قم.

١١١. سنن ابن ماجة / محمد بن يزيد القزويني / الوفاة: ٢٧٣هـ / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي / الناشر: دار الفكر.

١١٢. سنن الترمذي / الترمذي / الوفاة: ٢٧٩هـ / تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م / الناشر: دار الفكر. بيروت ـ لبنان.

١١٣. سنن النسائي / النسائي / الوفاة: ٣٠٣ هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٣٤٨ ـ ١٩٣٠ م / الناشر: دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

١١٤. سير أعلام النبلاء / الذهبي / الوفاة: ٧٤٨ هـ / تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

١١٥. السيرة النبوية / احمد بن زيني دحلان / الناشر: دار احياء التراث، بيروت ـ لبنان.

١١٦. شرح إحقاق الحق / السيد المرعشي / الوفاة: ١٤١١هـ / تحقيق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي / الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - إيران.

١١٧. شرح الأخبار / القاضي النعمان المغربي / الوفاة: ٣٦٣هـ / تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٤هـ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي . قم المشرفة.

١١٨. شرح اللمعة / الشهيد الثاني / الوفاة: ٩٦٦هـ / تحقيق: السيد محمد كلانتر / الطبعة: الأولى والثانية / لسنة: ١٣٨٦ ـ ١٣٩٨هـ / الناشر: منشورات جامعة النجف الدينية.

١١٩. شرح المقاصد في علم الكلام / التفتازاني / الوفاة: ٧٩١هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠١ - ١٩٨١م / الناشر: دار المعارف النعمانية.

١٢٠. شرح مسند أبي حنيفة / ملا علي القاري / الوفاة: ١٠١٤هـ / الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢١. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / الوفاة: ٦٥٦ هـ / المطبعة: مصر.

١٢٢. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / الوفاة: ٦٥٦ هـ / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م / الناشر: دار الكتب العربية.

١٢٣. الشفا بتعريف حقوق المصطفى / القاضي عياض / الوفاة: ٥٤٤هـ / لسنة: ١٤٠٩ - ١٩٨٨ م / الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان.

١٢٤. الشمائل المحمدية / الترمذي / الوفاة: ٢٧٩هـ / تحقيق: سيد عباس الجليمي / الطبعة: الأولى / سنة: ١٤١٢ / الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

١٢٥. الصحاح / الجوهري / الوفاة: ٣٩٣هـ / تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار / الطبعة: الرابعة / لسنة: ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧ م / الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان.

١٢٦. صحيح ابن حبان / ابن حبان / الوفاة: ٣٥٤ هـ / تحقيق: شعيب الأرنؤوط / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٤ ـ ١٩٩٣ م / الناشر: مؤسسة الرسالة.

١٢٧. صحيح البخاري / البخاري / الوفاة: ٢٥٦هـ / لسنة: ١٤٠١ ـ ١٩٨١ م /الناشر: دار الفكر.

١٢٨. صحيح مسلم / مسلم النيسابوري / الوفاة : ٢٦١هـ / الناشر: دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

١٢٩. الصراط المستقيم / علي بن يونس العاملي / الوفاة: ٨٧٧ هـ / تحقيق: محمد الباقر البهبودي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٣٨٤هـ / الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

١٣٠. صراط النجاة / الميرزا جواد التبريزي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٦ / المطبعة: سلمان الفارسي.

١٣١. صفحة علوم وتكنولوجيا / الانترنيت.

١٣٢. الطبقات الكبرى / محمد بن سعد / الوفاة: ٢٣٠هـ / الناشر: دار صادر ـ بيروت.

١٣٣. عدة الداعي / ابن فهد الحلي / الوفاة: ٨٤١ هـ / تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامية / الطبعة ـ الثانية / لسنة: ١٣٢٥هـ / الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية.

١٣٤. العقد الفريد / لابن عبد ربه الأندلسي / الطبعة: الثالثة / لسنة: ١٣٨٣هـ / الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

١٣٥. علل الشرائع / الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣٨١هـ / تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم / لسنة: ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦ م / الناشر: المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

١٣٦. علم الإظطرابات السلوكية / د. ميخائيل أسعد / الطبعة ـ الأولى / لسنة: ١٤١٤هـ / الناشر: دار الجيل، بيروت ـ لبنان.

١٣٧. علم المشكلات الاجتماعية / د. معن خليل.

١٣٨. علم خصائص الشعوب علم الأقوام / علي عبد الله الجباوي / الناشر: التكوين، دمشق ـ حلبوني. مختصر البصائر / الحسن بن سليمان الحلي / الوفاة: ٨٣٠هـ / تحقيق: مشتاق المظفر.

١٣٩. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام / الشيخ عبد الله البحراني / الوفاة: ١١٣٠ هـ / تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٧ ـ ١٣٦٥ ش / الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بالحوزة العلمية ـ قم المقدسة.

١٤٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣٨١هـ / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي / لسنة: ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ م / الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

١٤١. الغدير / الشيخ الأميني / الوفاة: ١٣٩٢هـ / الطبعة: الرابعة / لسنة: ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧ م / الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١٤٢. الفايق في غريب الحديث / جار الله الزمخشري / الوفاة: ٥٣٨هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٧ ـ ١٩٩٦ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٤٣. فتح الباري / ابن حجر /الوفاة: ٨٥٢هـ / الطبعة: الثانية / الناشر : دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

١٤٤. فتح القدير / الشوكاني / الوفاة: ١٢٥٥هـ / الناشر: عالم الكتب.

١٤٥. فرائد الأصول / الشيخ الأنصاري / الوفاة: ١٢٨١ هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٩هـ / الناشر: مجمع الفكر الإسلامي.

١٤٦. فروع القانون / الانترنيت.

١٤٧. الفروق اللغوية / أبو هلال العسكري / الوفاة: ن ٣٩٥ / تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٢ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المشرفة.

١٤٨. الفصول المهمة في أصول الأئمة / الحر العاملي / الوفاة: ١١٠٤هـ / تحقيق: محمد بن محمد الحسين القائيني / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٨ ـ ١٣٧٦ ش / الناشر: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام.

١٤٩. فضائل الأوقات / البيهقي / الوفاة: ٤٥٨هـ / تحقيق: عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ م / الناشر: مكتبة المنارة.

١٥٠. الفوائد الرضوية / عباس القمي.

١٥١. فيض القدير شرح الجامع الصغير / المناوي / الوفاة: ١٠٣١ هـ / تحقيق: أحمد عبد السلام / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٥ ــ ١٩٩٤ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٥٢. قصص الأنبياء / ابن كثير / الوفاة: ٧٧٤هـ / تحقيق: مصطفى عبد الواحد / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٣٨٨ ـ ١٩٦٨ م / الناشر: دار الكتب الحديثة.

١٥٣. قصص الأنبياء / الجزائري / الوفاة: ١١١٢هـ / الناشر: الشريف الرضي ـ قم ـ إيران.

١٥٤. الكافي / الشيخ الكليني / الوفاة: ٣٢٩هـ / تحقيق: علي أكبر الغفاري / الطبعة: الخامسة / لسنة: ١٣٦٣ ش / الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

١٥٥. كامل الزيارات / جعفر بن محمد بن قولويه / الوفاة: ٣٦٧هـ / تحقيق: الشيخ جواد القيومي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٧هـ / الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة.

١٥٦. الكامل في التاريخ / ابن الأثير / الوفاة: ٦٣٠هـ / لسنة: ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦م / الناشر: دار صادر ـ دار بيروت.

١٥٧. الكامل في اللغة والأدب / للمبرد / الوفاة: ٢٨٥هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٤هـ / الناشر: دار إحياء التراث.

١٥٨. كتاب الأموال / لابن زنجويه / الوفاة: ٢٥١هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٧هـ / تحقيق: أبو محمد الأسطيوطي / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١٥٩. كتاب الخراج / أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري / الوفاة: ١٨٢هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٣٠هـ / الناشر: دار كنوز المعرفة، عمان ـ الأردن.

١٦٠. كتاب الزهد / الحسين بن سعيد الكوفي / الوفاة: ق٣ / تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان / لسنة: ١٣٩٩ / المطبعة: العلمية ـ قم.

١٦١. كتاب العين / الخليل الفراهيدي / الوفاة: ١٧٠هـ / تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي.

١٦٢. كتاب الفتوح / أحمد بن أعثم الكوفي / الوفاة: ٣١٤هـ / تحقيق: علي شيري.

١٦٣. كتاب المكاسب / الشيخ الأنصاري / الوفاة: ١٢٨١هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٥هـ / الناشر: المؤتمر العالمي.

١٦٤. كتاب سليم بن قيس / تحقيق: محمد باقر الأنصاري.

١٦٥. كتاب صورة الأرض / أبو القاسم بن حوقل الصيبي / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٩٢٨ / الناشر: دار صادر، بيروت ـ لبنان.

١٦٦. كشف الخفاء / العجلوني / الوفاة: ١١٦٢ هـ / الطبعة: الثالثة / لسنة: ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٦٧. كشف الغطاء / الشيخ جعفر كاشف الغطاء / الوفاة: ١٢٢٨هـ / الناشر: مهدوي ـ أصفهان.

١٦٨. كشف الغمة / ابن أبي الفتح الإربلي / الوفاة: ٦٩٣ هـ / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ م / الناشر: دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان.

١٦٩. كشف اللثام / الفاضل الهندي / الوفاة: ١١٣٧هـ / تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٦ هـ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المشرفة.

١٧٠. كشف اليقين /العلامة الحلي / الوفاة: ٧٢٦ هـ / تحقيق: حسين الدركاهي / الطبعة: الأولى / لسنة:١٤١١هـ.

١٧١. كفاية الأثر / الخزاز القمي / الوفاة: ٤٠٠ هـ / تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الخوئي / لسنة: ١٤٠١ هـ / الناشر: بيدار.

١٧٢. كلمة التقوى / الشيخ محمد أمين زين الدين / الوفاة: ١٤١٩هـ / الطبعة: الثالثة / لسنة: ١٤١٣ / الناشر: السيد جواد الوداعي.

١٧٣. كنز العمال / المتقي الهندي / الوفاة: ٩٧٥هـ / تحقيق: الشيخ بكري حياني / لسنة: ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩ م / الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان.

١٧٤. الكنى والألقاب / الشيخ عباس القمي / الوفاة: ١٣٥٩هـ / الناشر: مكتبة الصدر ـ طهران.

١٧٥. لسان العرب / ابن منظور / الوفاة: ٧١١ هـ / لسنة: ١٤٠٥ هـ / الناشر: نشر أدب الحوزة ـ قم ـ إيران.

١٧٦. اللهوف في قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس / الوفاة: ٦٦٤هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٧هـ / الناشر: أنوار الهدى ـ قم ـ إيران.

١٧٧. لواعج الأشجان / السيد محسن الأمين / الوفاة: ١٣٧١هـ / لسنة: ١٣٣١هـ / الناشر: مكتبة بصيرتي ـ قم.

١٧٨. مؤتمر علماء بغداد / مقاتل بن عطية / الوفاة: ٥٠٥ هـ / تحقيق: السيد مرتضى الرضوي / الطبعة: الثانية / الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ إيران.

١٧٩. مبادئ علم النفس / د. محمد بني يونس / الطبعة: الأولى / لسنة: ٢٠٠٤م / الناشر: دار الشروق، عمان ـ الأردن.

١٨٠. مثير الأحزان / ابن نما الحلي / الوفاة: ٦٤٥هـ / لسنة: ١٣٦٩ ـ ١٩٥٠ م / الناشر: المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

١٨١. المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة / السيد شرف الدين / الوفاة: ١٣٧٧هـ / تحقيق: محمود بدري / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢١هـ / الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم.

١٨٢. مجمع البحرين / الشيخ الطريحي / الوفاة: ١٠٨٥هـ / تحقيق: السيد أحمد الحسيني / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤٠٨ ـ ١٣٦٧ ش / الناشر: مكتب النشر الثقافة الإسلامية.

١٨٣. مجمع الزوائد / الهيثمي / الوفاة: ٨٠٧هـ / لسنة: ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١٨٤. المجموع / محيي الدين النووي / الوفاة: ٦٧٦هـ / الناشر: دار الفكر.

١٨٥. المحاسن / أحمد بن محمد بن خالد البرقي / الوفاة: ٢٧٤هـ / تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني / لسنة: ١٣٧٠ ـ ١٣٣٠ ش / الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

١٨٦. المحصول / الرازي / الوفاة: ٦٠٦هـ / تحقيق: دكتور طه جابر فياض العلواني / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٢هـ / الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١٨٧. مدينة المعاجز / السيد هاشم البحراني / الوفاة: ١١٠٧هـ / تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٣هـ / الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم ـ إيران.

١٨٨. مروج الذهب / المسعودي.

١٨٩. المزار / الشهيد الأول / الوفاة: ٧٨٦هـ / تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٠ هـ / الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ قم المقدسة.

١٩٠. المزار / الشيخ المفيد / الوفاة: ٤١٣هـ / تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحي / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٤ ـ ١٩٩٣ م / الناشر: دار المفيد ـ بيروت ـ لبنان.

١٩١. مسائل علي بن جعفر / ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام / الوفاة: ق ٢ / تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٩هـ / الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ـ مشهد المقدسة.

١٩٢. المسالك والممالك / ابن خرداذبه / الناشر: دار صادر، بيروت ـ لبنان.

١٩٣. المسانيد / محمد حياة الأنصاري / المطبعة: خط المؤلف.

١٩٤. المستدرك / الحاكم النيسابوري / الوفاة: ٤٠٥هـ / تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

١٩٥. مستدرك الوسائل / الميرزا النوري / الوفاة: ١٣٢٠هـ / تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٨ ـ ١٩٨٧ م / الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام).

١٩٦. مستدركات علم رجال الحديث / الشيخ علي النمازي الشاهرودي / الوفاة: ١٤٠٥هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٢هـ / الناشر: ابن المؤلف.

١٩٧. المسترشد / محمد بن جرير الطبري (الشيعي) / الوفاة: ق ٤ / تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٥هـ / الناشر: مؤسسة الثقافة الإسلامية.

١٩٨. مستند الشيعة / المحقق النراقي / الوفاة: ١٢٤٤هـ / تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٥هـ / الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ـ قم.

١٩٩. مسكن الفؤاد / الشهيد الثاني / الوفاة: ٩٦٦هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٧هـ / نشر وتحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ـ قم.

٢٠٠. مسند ابن راهويه / إسحاق بن راهويه / الوفاة: ٢٣٨هـ / تحقيق: الدكتور عبد الغفور عبد الحق حسين برد البلوسي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٢ / الناشر: مكتبة الإيمان ـ المدينة المنورة.

٢٠١. مسند أبي سعيد الخدري / أبي سعيد الخدري.

٢٠٢. مسند أبي يعلى / أبو يعلى الموصلي / الوفاة: ٣٠٧هـ / تحقيق: حسين سليم أسد / الناشر: دار المأمون للتراث.

٢٠٣. مسند احمد / الإمام احمد بن حنبل / الوفاة: ٢٤١هـ / الناشر: دار صادر، بيروت ـ لبنان.

٢٠٤. مسند زيد بن علي / زيد بن علي / الوفاة: ١٢٢هـ / الناشر: دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان.

٢٠٥. مشارق الشموس / المحقق الخوانساري / الوفاة: ١٠٩٩هـ / الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث.

٢٠٦. مشكاة الأنوار / علي الطبرسي / الوفاة: ق ٧ / تحقيق: مهدي هوشمند / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٨هـ / الناشر: دار الحديث.

٢٠٧. مشكل الآثار / الطحاوي.

٢٠٨. المصباح / الكفعمي / الوفاة: ٩٠٥هـ / الطبعة: الثالثة / لسنة: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ / الناشر: مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٢٠٩. مصباح المتهجد / الشيخ الطوسي / الوفاة: ٤٦٠هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١١ ـ ١٩٩١ م / الناشر: مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت ـ لبنان.

٢١٠. مصفى المقال / الطهراني / الطبعة: الثالثة / لسنة: ١٤٠٨هـ / الناشر: دار العلوم، بيروت ـ لبنان.

٢١١. المصنف / ابن أبي شيبة الكوفي / الوفاة: ٢٣٥هـ / تحقيق: سعيد اللحام / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩ م / الناشر: دار الفكر بيروت ـ لبنان.

٢١٢. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام / محمد بن طلحة الشافعي / الوفاة: ٦٥٢هـ / تحقيق: ماجد بن أحمد العطية.

٢١٣. معالم المدرستين / السيد مرتضى العسكري / لسنة: ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ م / الناشر: مؤسسة النعمان ـ بيروت ـ لبنان.

٢١٤. معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين / محمد مهدي الحائري / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٩هـ / الناشر: الشريف الرضي .

٢١٥. معاني الأخبار / الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣٨١ هـ / تحقيق: علي أكبر الغفاري / لسنة: ١٣٧٩ ـ ١٣٣٨ ش / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المشرفة.

٢١٦. معجم البلدان / لياقوت الحموي / الطبعة: الثالثة / لسنة: ٢٠٠٧م / الناشر: دار صادر، بيروت ـ لبنان.

٢١٧. المعجم الكبير/ الطبراني / الوفاة: ٣٦٠هـ / تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي / الطبعة: الثانية / الناشر: دار إحياء التراث العربي و دار الثقافة العربية.

٢١٨. معجم المؤلفين / عمر كحالة / الناشر: مكتبة المثنى ـ بيروت ـ لبنان و دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٢١٩. معجم رجال الحديث / السيد الخوئي / الوفاة: ١٤١١هـ / الطبعة: الخامسة / لسنة: ١٤١٣ ـ ١٩٩٢م.

٢٢٠. معجم علم الاجتماع / عدنان أبو مصلح / الطبعة: الأولى / لسنة: ٢٠٠٦م / الناشر: دار أسامة و دار المشرق، عمان ـ الأردن.

٢٢١. المغني / عبد الله بن قدامة / الوفاة: ٦٢٠هـ / الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

٢٢٢. مفتاح الفلاح / البهائي العاملي / الوفاة: ١٠٣١هـ / الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان.

٢٢٣. مقاتل الطالبيين / أبو الفرج الأصفهاني / الوفاة: ٣٥٦هـ / تحقيق: كاظم المظفر /الطبعة: الثانية / لسنة: ١٣٨٥ ــ ١٩٦٥ م / الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٢٢٤. مقامات الحريري / الحريري / الوفاة: ٥١٠هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٥هـ / الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٢٢٥. المقتل / الخوارزمي.

٢٢٦. مقتل الإمام الحسين عليه السلام / محمد تقي آل بحر العلوم / تحقيق: السيد الحسين بحر العلوم / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٧هـ / الناشر: دار المرتضى، بيروت ـ لبنان.

٢٢٧. مقتل الحسين عليه السلام / أبو مخنف الأزدي / الوفاة: ١٥٧هـ / تحقيق: حسين الغفاري / المطبعة: مطبعة العلمية ـ قم.

٢٢٨. مقتل الحسين عليه السلام / السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم / الطبعة ـ الأولى / لسنة: ١٤٢٣هـ / الناشر: مؤسسة النور، بيروت ـ لبنان.

٢٢٩. المقنع / الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣٨١هـ / لسنة: ١٤١٥ / الناشر: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام.

٢٣٠. المقنعة / الشيخ المفيد / الوفاة: ٤١٣هـ / تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٠هـ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المشرفة.

٢٣١. مكارم الأخلاق / الشيخ الطبرسي / الوفاة: ٥٤٨ هـ / الطبعة: السادسة / لسنة: ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢ م / الناشر: منشورات الشريف الرضي.

٢٣٢. المكاييل والأوزان الإسلامية / هنتز.

٢٣٣. الملاحم والفتن / السيد ابن طاووس / الوفاة: ٦٦٤هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٦ / الناشر: مؤسسة صاحب الأمر عجل الله فرجه.

٢٣٤. من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام / عبد العظيم المهتدي البحراني / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢١ ـ ٢٠٠٠ م / الناشر: الشريف الرضي ـ قم ـ إيران.

٢٣٥. من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣٨١ هـ / تحقيق: علي أكبر الغفاري / الطبعة: الثانية / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المشرفة.

٢٣٦. المناقب / الموفق الخوارزمي / الوفاة: ٥٦٨هـ / تحقيق: الشيخ مالك المحمودي / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٤ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي ــ قم المشرفة.

٢٣٧. مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب / الوفاة: ٥٨٨ هـ / تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف / لسنة: ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦ م / الناشر: المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٢٣٨. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام / محمد بن سليمان الكوفي / الوفاة: ح ٣٠٠ / تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٢ / الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ قم المقدسة.

٢٣٩. مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام / ابن المغازلي / الطبعة ـ الثالثة / لسنة:١٤٢٤هـ / الناشر: دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.

٢٤٠. مناقب أهل البيت عليهم السلام / المولى حيدر الشيرواني / الوفاة: ق ١٢هـ / تحقيق: الشيخ محمد الحسون / لسنة: ١٤١٤هـ / المطبعة: مطبعة المنشورات الإسلامية.

٢٤١. منتهى المطلب (ط.ج) / العلامة الحلي / الوفاة: ٧٢٦هـ / تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٢هـ /الناشر: مجمع البحوث الإسلامية ـ إيران ـ مشهد.

٢٤٢. منهاج الصالحين / الشيخ وحيد الخراساني.

٢٤٣. موارد الظمآن / الهيثمي / الوفاة: ٨٠٧ هـ / تحقيق: حسين سليم أسد الداراني / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١١ ـ ١٩٩٠ م / الناشر: دار الثقافة العربية.

٢٤٤. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام / الشيخ هادي النجفي / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٢ م / الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٢٤٥. موسوعة علم النفس والتربية / مجموعة باحثين.

٢٤٦. موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) / لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام) / الطبعة: الثالثة / لسنة: ١٤١٦ ـ ١٩٩٥ م / الناشر: دار المعروف.

٢٤٧. ميزان الحكمة / محمد الريشهري / تحقيق: دار الحديث / الطبعة: الأولى / المطبعة: دار الحديث / الناشر: دار الحديث.

٢٤٨. النصائح الكافية / محمد بن عقيل / الوفاة: ١٣٥٠هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٢ / الناشر: دار الثقافة ـ قم.

٢٤٩. نظم درر السمطين / الزرندي الحنفي / الوفاة: ٧٥٠هـ / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٣٧٧ ـ ١٩٥٨ م.

٢٥٠. نهاية الإحكام / العلامة الحلي / الوفاة: ٧٢٦ هـ / تحقيق: السيد مهدي الرجائي / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٠ هـ / الناشر: مؤسسة إسماعيليان ـ قم ـ إيران.

٢٥١. نهج البلاغة / خطب الإمام علي عليه السلام / الوفاة: ٤٠هـ / تحقيق: الشيخ محمد عبده / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٢ ـ ١٣٧٠ ش / الناشر: دار الذخائر ـ قم ـ إيران.

٢٥٢. الهداية الكبرى / الحسين بن حمدان الخصيبي / الوفاة: ٣٣٤ هـ / الطبعة: الرابعة / لسنة: ١٤١١ ـ ١٩٩١ م / الناشر: مؤسسة البلاغ ـ بيروت ـ لبنان.

٢٥٣. هدية العارفين / إسماعيل باشا البغدادي / الوفاة: ١٣٣٩هـ / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٢٥٤. الوافي بالوفيات / الصفدي / الوفاة: ٧٦٤ هـ / تحقيق: أحمد الأرناؤوط / لسنة: ١٤٢٠ ـ ٢٠٠٠م / الناشر: دار إحياء التراث.

٢٥٥. وركبت السفينة / مروان خليفات / الطبعة: الثانية / الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

٢٥٦. وسائل الشيعة (آل البيت) / الحر العاملي / الوفاة: ١١٠٤هـ / تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث / الطبعة: الثانية / لسنة: ١٤١٤ هـ / الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ـ قم المشرفة.

٢٥٧. وسائل الشيعة (الإسلامية) / الحر العاملي / الوفاة: ١١٠٤هـ / تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي / الطبعة: الخامسة / لسنة: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٢٥٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / ابن خلكان / الوفاة: ٦٨١هـ / تحقيق: إحسان عباس / الناشر: دار الثقافة.

٢٥٩. ينابيع المودة لذوي القربى / القندوزي / الوفاة: ١٢٩٤هـ / تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني / الطبعة: الأولى / لسنة: ١٤١٦هـ / الناشر: دار الأسوة.

المحتويات

الفصل الثامن

مواضع دعائه عند مصارع أهل بيته عليهم السلام

الفصل التاسع

مواضع أدعيته عند قتاله ومصرعه عليه السلام

سلسلة اصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار أخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	إبكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزئين	السيد عبدالله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني

١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج١	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٢	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٢	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ج٣	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزئين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو